اَلتَحَوَّلُ اِلْفِكْرِي مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إِلَــى اَلْمَنْهَــجِ اَلإِسْــــلَامِي نَمَاذِجُ وَأَنْمَاطٌ

دكتورة

أحلام محمد حكمي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

كلية التربية للبنات ـ جامعة جازان

الزهراء

الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء

اَلْـمُقَدِّمَــةُ

للهِ رَبِّ العَالَمِين، الحَمْدُ لله الذي لا يعلمُ مَا هُوَ إلا هُوَ، ولا يغفرُ الذُّنُوبَ إِلَّا هُوَ،ولا يَسْتِرُ العُيُوبَ إِلَّا هُوَ،ولا يَكْشِفُ الكُرُوبَ إلا هُوَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا وأُسْتَاذِنَا وقُدْوَتِنَا مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ خَاتَمِ النَّبيين وإمَامِ المُتَّقينَ، وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ...وبَعْدُ:

فإنَّ الإسْلامَ به قُوَّةٌ ذاتِيَّةٌ، يقومُ علَى أَسَاسِ التَّوحيدِ والنُّبُوَّةِ والإيمَانِ بِالغَيْبِ والبَعْثِ والجَزَاءِ، وَيَجْمَعُ بينَ عَالَمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، بينَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، بينَ المَسؤوليَةِ الفَرْدِيَةِ والحِسَابِ الأُخْرَوِي، ولا يُنَاقِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا التَّرَابُطِ. ومُخَاطَبَةِ الإِسْلَامِ لِلْعَقْلِ والفِطْرَةِ ودَعْوَتِهِ لِلْعِلْمِ تَجْعَلُهُ مَصْدَرًا لِلْحَضَارَةِ والنُّهُوضِ والتَّقَدُّمِ، وقُوَّةُ الإِسْلامِ تَجْعلُهُ يَغْزو الإِنْسَانَ والعَالَمَ، ومِنْ ثَمَّ يُحَارَبُ الإِسْلامُ مِنْ قبلِ أَعْدَائِهِ بِصُوَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا الحَرْبُ الفِكْرِيَّةُ الَّتِي نَهَجَهَا اَلْغَرْبُ بَعْدَ فَشَلِهِمْ فِي الحُرُوبِ الصَّليبيَّةِ، ومِنْ أَلْوَانِ الحَرْبِ الفِكْرِيَّةِ مُحَاوَلَةُ تَطْوِيْقِ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ بِالمَذَاهِبِ الغَرْبِيَّةِ، رَاغِبَةً فِي تَذْوِيبِ اِلْفِكْرِ الإِسْلامِيّ فِي أَتُونِ الفِكْرِ الغَرْبِيّ، أو اِحْتِوَائِهِ عَلَي اَلأَقَلّ إلي طَرِيْقَةِ التَّبَعِيَّةِ لِلْفِكْرِ الغَرْبِيّ.

وَدَخَلَ النَّمُوْذَجُ الغَرْبِيُّ فِي مَيَادِيْنِ الحَيَاةِ العَربيَّةِ فِي رَكْبِ الاسْتِعْمَارِ، ولكنَّهُ لَمْ يَجِدْ قَبُولًا بِشَكْلٍ عَامٍ للنَّفْسِ العربيَّةِ والإِسْلامِيَّةِ، بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ طائفة مِمَّنْ هَالَهُمْ القُوَّةُ الاستعمَارِيَّةُ والتَقَدُّمُ المَادِيُّ للغَرْبِ، وتتلمذُوا علَي أيدِي بَعْضِهِمْ قَدْ تَبَنُّوا بَعْضَ المَذَاهِبِ الغَربيَّةِ التي تُنَاوِئُ المَنْهَجَ الإِسْلَامِيَّ، وسَارُوا تَبَعًا للفِكْرِ الغَرْبِيّ؛ زَاعِمِيْنَ أَنَّ فِي تَبَنِيهِ المَلاذَ للنَّهْضَةِ والتَّقَدُّمِ.

لَكِنَّنَا وَجَدْنَا أَنَّ عَدَدًا كبيرًا مِنْ الَّذِينَ اِنْبَهَرُوا بِالفِكْرِ الغَرْبِيّ رِدْحًا مِنْ الزَمَنِ، وَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ مُنَظِّرِيْهِ، قَدْ تَحَوَّلُوا مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إلي اَلإِسْلَامِ ومَنْهَجِهِ.

وَهَذَا اَلْبَحْثُ يُنَاقِشُ ظَاهِرَةَ التَحَوُّلِ الفِكْرِيّ مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَةِ إِلَي التَّوَجُّهِ الإِسْلَامِي؛ مِنْ خِلالِ نَمَاذِجَ وأَنْمَاطٍ حَوَّلَتْ مَسَارَهَا الفِكْرِيَّ والنَّهْضَوِيَّ مِنْ الفْكرِ الغَرْبِيّ إِلَي الإِسْلَامِ وَمَنْهَجِهِ.

وَمَعَ مُلَاحَظَةِ أَنَّ العَدِيْدَ مِنْ المُفَكِرِينَ قَدْ تَحَوَّلُوا مِنْ التَّبَعِيَّةِ للفِكْرِ الغَربِيّ إلى المَرْجِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ والدِّفَاعِ عَنْ الدِّينِ، لكن مَا يَزالُ البَعْضُ يَعْمَلُ كَأَدَاةٍ لِتَرْوِيْجِ الفِكْرِ الغربيّ فِي البِيْئَةِ الإِسْلَامِيَّةِ. الأَمْرُ الَّذِى يَجْعَلُنَا نَدْرِسُ فِكْرَ هَؤلاءِ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ حَالَةِ الانْبِهَارِ بِالغَرْبِ إِلَي دِيْنِهِمْ الإِسْلَامِيّ؛ لِنَتَكَشَّفَ العَوَامِلَ التي دَفَعَتْهُمْ إلى الهَوِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ مُدَافِعِين ونَاقِدِين، والبَحْثُ يُعَدُّ دَعْوَةٌ لِتَلامِيذ هَؤُلَاءِ لِيَحْذُّوا حُذْوَ أَسَاتِذَتهم في رجوعهم إلي المَبَادِئ الإِسْلامِيَّةِ.

هَذِهِ اَلأَسْبَابُ وَغَيْرُها هِي الَّتِي حَدَتْ بِي لِلْخَوْضِ فِي هَذَا اَلْمَوْضُوْعِ.

- مَنْهَجُ اَلْبَحْثِ:

اِقْتَضَتْ طَبِيعَةُ البَحْثِ استخدامَ عِدَّةَ مَنَاهِجَ لِمُعَالَجَتِهِ:

1- اَلْمَنْهَجُ التَّارِيْخِي "الاسْتِرْدَادِي":الَّذِي اسْتَخْدَمْتُهُ في تَتَبُّعِ آَرَاءِ اَلْنَمَاذِجِ اَلْمُخْتَارَةِ في البَحْثِ وتَوْثِيْقِ نُصُوصِهِمْ.

2- اَلْمَنْهَجُ التَّحْلِيْلِي: الَّذِي اِسْتَخْدَمْتُهُ في تَحْلِيلِ ومُنْطَلَقَاتِ الآَرَاءِ، وأسبابِ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وَمُحَاوَلَةِ رَبْطِهَا بِالإِسْلامِ لَدَى اَلْبَعْضِ مِنْهُمْ.

3– اَلْمَنْهَجُ اَلْمُقَارِنُ: الذي استخدمتُهُ في اَلْمُوَازَنَةِ بينَ آرَاءِ وأفكَارِ الَّذِين تَحَوَّلُوا مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبيَّةِ إلي اَلْمَنْهَجِ الإِسْلامِيّ فِيْمَا كَانُوا عليه أَوَّلًا ومَا آلُوا إليه آخِرًا.

● خُطَّةُ اَلْبَحْثِ:

يأتي البَحْثُ في: مُقَدِّمَةٍ، وخَمْسَةِ مَبَاحِثَ، وخَاتِمَةٍ.

– اَلْمُقَدِّمَةُ: وتشتمِلُ عَلَى أَهَمِيَّةِ البَحْثِ، وأَسْبَابِ اِخْتِيَارِهِ، ومَنْهجِهِ، وخُطَّتِهِ.

– اَلْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وأَسْبَابهَا.

– اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُحَاوَلَةُ رَبْطِ اِلْفِكْرِ الغَربيّ بِالإِسْلَامِ.

– اَلْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: أَسْبَابُ التَّحَوُّلِ مِنْ التَبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إلي مَنْهَجِ اَلإِسْلَامِ.

– اَلْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: نَمَاذِجُ وأَنْمَاطُ التَّحَوُّلِ الفِكْرِيّ مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إلي اَلْمَنْهَجِ الإِسْلَامِيّ.

– اَلْمَبْحَثُ الخَامِسُ: دَعْوَةٌ وَنِدَاءٌ.

– اَلْخَاتِمَةُ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَهَمِ نَتَائِجِ البَحْثِ.

وَأَرْجُو اَللهَ تَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا اَلْعَمَلَ، وَيَنْفَعَ بِهِ، وَيَتَجَاوَزَ عَمَّا فيهِ مِنْ الزَّلَلِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

*****

اَلْمَبْحَثُ اَلأَوَّلُ:

نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وأَسْبَابهَا

إنَّ الله ﷻ ابْتَعَثَ رسولَه ﷺ إلى البشريَّة جمعاء؛ لإخراجِ العِباد من عبادَةِ العِبَادِ إلى عبادَةِ رَبِّ العِبَادِ – سُبحانه وتَعَالى – فَقَالَ تَعَالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد:9]، وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق: 10 ، 11]، وقد أَمَر اللهُ – تبارك وتعالى – نبيَّه وأُمَّة الإسلامِ بإبْلَاغِ هَذَا الدِّينِ؛ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: 67]، ثُمَّ لَمَّا وَجَد هؤلاءِ الحَقَدَةُ انتشارَ الدِّين – بنَصِّ حديث النبي ﷺ الذي قال فيه:« لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ » [(1)].

وَتَآمَرُوا عليه وعَلَى أُمَّةِ الإسْلامِ، وقَدْ أَخَذَ هَذَا التَّآمُرُ عِدَّةَ صُوَرٍ بَعْدَ فَشَلِهِمْ الذَّرِيْعِ في الإِتْيَانِ عَلَى الإِسْلَامِ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَهَدْمِ أَرْكَانِ اَلإِسْلَامِ، هَذَا وَقَدْ تَنَبَّأَ الرَّسُولُ ﷺ بأَنَّ بَعْضَ اَلْمُسلِمِيْنَ مِنْ يَتتَبَّعُ اليَهُوْدَ والنَّصَارَى في كُلِّ شَيْءٍ، وفيه تَحْذِيْرٌ مِنْ الرَّسُوْلِ مِنْ تَتبُّعِهِمْ.

وقد أَخْرَجَ البُخَارِي ومُسْلِمٌ عن أبي سعيد ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال:« لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ

(1) أخرجه أحمد في المسند، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم .

دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ:«فَمَنْ»[1].

قالَ النَّوَوِي:"وَالْمُرَادُ بِالشِّبْرِ وَالذِّرَاعِ وَجُحْرِ الضَّبِّ التَّمْثِيلُ بِشِدَّةِ الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ، وَالْمُرَادُ الْمُوَافَقَةُ فِي الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ لَا فِي الْكُفْرِ، وَفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[2]

وقال ابن حجر في الفتح:"قَالَ عِيَاضٌ: الشِّبْرُ وَالذِّرَاعُ وَالطَّرِيقُ، وَدُخُولُ الْجُحْرِ تَمْثِيلٌ لِلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا نَهَى الشَّرْعُ عَنْهُ وَذَمَّهُ"[3].

وانطلاقًا من هَذَا الحَدِيْثِ النَّبَوِي اَلْمُعْجِزِ، نجدُ أَنَّهُ مِنْ اَلْمَعْلُومِ أَنَّ اَلْغَرْبِ كانَ ولا يَزَالُ يُمارسُ هُجُومًا فكريًّا – بَعْدَ أَنْ فَشَلَ في اَلْـهُجُومِ العَسْكَرِيّ – مِمَّا أَدَى إلى اِخْتِرَاقِ صُفُوفِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَتَـحريفِ كثيرٍ مِنْ تَارِيْـخِهَا، وَمَنْـهَجِهَا، وحَضَارَتِـهَا، وعَقِيْدَتِـهَا، وَاخْتَرَعَ أَفْكَارًا تُشْبِهُ الإِسْلامَ مِن طَرَفٍ خَفِيٍّ – وَلَيْسَتْ مِنْهُ – فَانْبَرَى لَهُ مَنْ وَقَفَ حَائِطَ صَدٍّ ضِدَّهُ، وَزَادَتْ صَيْحَاتُـهُمْ تُدَوِّي في أَرْجَاءِ اَلْمَعْمُوْرَةِ: أَنِ احْذَرُوا مِنْ الغزْوِ الفِكْرِيّ، أَنْ اِحْذَرُوا مِنَ التَّغْرِيْبِ.

إنَّ الحِقْدَ الَّذِي يَمْلَأُ الصُّدُوْرَ لَيَزْدَادُ عِنْدَمَا يَرَوْنَ نُوْرَ الإِيْمَانِ يَشِعُّ مِنْ قُلُوبِ وَوُجُوْهِ اَلْمُؤْمِنِيْنَ، عندما يَرَوْنَ اِزْدِيَادَ أَعْدَادِ اَلْمُسْلِمِيْن، فَقَامُوا

(1) قال النووي: السَّنَنُ بِفَتْحِ السِّينِ وَالنُّونِ وَهُوَ الطَّرِيقُ؛ شرح النووي على مسلم (219/16).

(2) شرح النووي على مسلم (219/16).

(3) فتح الباري، لابن حجر (301/13).

يَعْمَلُوْنَ عَلَى إِضْعَافِ تَمَسُّكِ اَلْمُسلِمِيْن بِدِيْنِهِمْ؛ تَارَةً بِأَنَّهُ دينٌ لا يصلحُ للحُكْمِ، وتارةً بأنَّهُ دينٌ لا يصلحُ للعَصْرِ، وتَارَةً بأنَّهُ ليسَ بِدِيْنٍ بَلْ خُرَافَةٌ مَزْعُوْمَةٌ في ظَنِّهِمْ !!

إنَّ الغَزْوَ الفِكْرِيَّ يُظْهِرُ رَأْيَ اَلْعَيْنِ عِنْدَمَا أقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[البقرة:105]، وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة:109]، وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء:102]، فهذه آياتٌ تكشفُ نَفْسِيَّاتِ الأَعْدَاءِ، فَبَيَّنَ الله تعالى أنَّ الكافرين وَاَلْمُشركين وأهلَ الكِتَابِ يَقِفُوْنَ مَعًا عَلَى قَدَمٍ وسَاقٍ لِمَنْعِ اَلْخَيْرِ، لِمَنْعِ اِنْتِشَارِ الإِسْلَامِ، الكُلُّ يُضْمِرُ شَرًّا للإِسْلامِ وأَهْلِهِ.

كذلك يظهرُ الحِقْدُ – لإِحْسَاسِهِمْ بِأَنَّ اَلْمُسْلِمِيْنَ تَمَيَّزُوا عَنْهُم – بقولِ الله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾[النساء:89]، حتَّى في الفِكْرِ الكُفْرِي يِرُيدُوْنَنَا مِثْلَهُمْ! فكيف يَرْضَوْنَ أَنْ نَتَقَدَّمَ؟! فكيفَ يرضون أن نكون أقوى؟! ولكن كَمَا قَالَ الله: ﴿ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾[البقرة:109]، و﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: 118].

إنَّ وُجودَ الإسلام بحَدِّ ذاتِهِ في دُنْيَا النَّاسِ اليَوْمَ – فِكْرًا وَسُلُوكًا واعْتِقَادًا – غَيْرُ مَرْغُوْبٍ فيه مِنْ الغَرْبِ؛ إِذْ هُوَ الخطرُ بِعَيْنِه عليهم، فيَشْعُرون أَنَّهُ يُهَدِّدهم حتَّى في أحلامهم، أمَّا إِذَا تخلَّى اَلْمُسْلِمُونَ عَنْ عَقِيْدَتِهِمْ وَتَهَاوَنُوا في شَأْنِهَا، فَإِنَّ الغَرْبَ لَا يَجِدُ خَطرًا اَلْبَتَّةَ يَخْشَاهُ، بَلْ

هُوَ غَايَةُ اَلْمُنَى؛ إِذْ لا يَتَحَرَّكُ اَلْمُسْلِمُ إلا بِعَقِيْدَةٍ، فَإِذَا ذَهَبَتْ صَارَ في دُنْيَاهُ كَوَرَقَةِ الشَّجَرِ أَيْنَمَا جَاءَهَا اَلْـهَوَاءُ حَرَّكَهَا!

يقولُ اَلْمُنَصِّر الصَّليبي غاردنز ":إنَّ القُوَّةَ الَّتي تَكْمُنُ في الإِسْلَامِ هِي الَّتي تُخِيْفُ أُورُبَا"، ويقولُ رئيسُ وَزَرَاءِ إسرائيلَ الأسبقِ«بن غُوريُون»":نَـحْنُ لا نَـخْشَى الاشتراكيَّاتِ، ولا الثَّوريَّاتِ، ولا الدِّيمقراطيَّاتِ في اَلْمَنْطِقَةِ، نَـحْنُ فَقَطْ نَـخْشَى اَلإِسْلَامَ، هَذَا اَلْمَارِدُ الَّذِي نَامَ طَوِيلًا، وَبَدَأَ يَتَمَلْمَلُ مِنْ جَدِيْدٍ»[1]. فَلَمَّا وَجَدَ الغَرْبُ فَشَلَهُمْ في الحرْبِ اَلْمُبَاشِرَةِ، بَدَأَ في اِسْتِخْدَامِ سُلُوكِ اَلْمَكْرِ والخَدِيْعَةِ – سُلُوكَ الغَزْوِ الفِكْرِيّ – والَّذِي يُمَثِّلُ أَفْضَلَ اَلطرُقِ وأَقْرَبَـها، لإحكامِ سَيْطَرَتِهِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ عَلَى اَلْمُسْلِمِيْنَ.

وَمِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّ الاسْتِعْمَارَ والاسْتِشْرَاقَ والتَّبْشِيْرَ ثَالُوثٌ غَيْرُ مُقَدَّسٍ، فَهُنَاكَ عَلَاقَةٌ وَطِيْدَةٌ بَيْنَهُمْ، و"كَانَتْ الدُّوَلُ الأوربيَّةُ مُنْذُ حملَةِ نابليون حتَّى الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُوْلى قَدْ رَتَّبَتْ خُطَطَهَا لِـهَذَا الغَزْوِ عَسْكَرِيًّا واقْتِصَادِيًّا وثَقَافِيًّا على نَـحْوٍ يُـحَقِّقُ لَـهَا البَقَاءَ الطَّوِيْلَ في اَلْمَنْطِقَةِ والقَضَاءِ نَـهائِيًّا على شَخْصِيَّتِهَا ومُقَدَّرَاتِـهَا وقِيَمِهَا وَثَقَافَاتِـهَا وَدِيْنَهَا وَتَارِيْـخِهَا"[2].

بَلْ إِنَّ اَلإِسْلَامَ مُسْتَهْدَفٌ بِالدَّرَجَةِ الأُوْلى مِنْ الاسْتِعْمَارِ عَلَى مِصْرَ والعَالمِ العَرَبيّ، وَحَاوَلَ أَتْبَاعُهُ إِقْنَاعَ العُقُولِ بِأَنَ الإِسْلَامَ هُوَ مُعَوّقٌ لَـهُمْ عَنْ التَّقَدُّمِ ومُوَاكَبَةِ الحَضَارَةِ الجَدِيْدَةِ، وَظَهَر ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ "كُرُومَر" الذي قال:"إِنَّ الإِسْلَامَ نَاجِحٌ كَعَقِيْدَةٍ ودِيْنٍ، ولَكِنَّهُ فَاشِلٌ كَنِظَامٍ اِجْتِمَاعِيٍ، قَدْ

(1) الفكر العربي المعاصر " في معركة التغريب والتبعية الثقافية "، أنور الجندي (ص133).

(2) المصدر نفسه (ص133).

وُضِعَتْ قَوَانِيْنُهُ لِتُنَاسِبَ الجزيرةَ العَرَبِيَّةَ في القَرْنِ السَّابِعِ اَلْمِيْلادِي[1].

وَقَالَ أَيْضًا:"إِنَّ الإِسْلَامَ مُنَافٍ للتَّجْدِيْدِ، وَلَمْ يَكُنْ صَالحاً إِلَا لِلزَّمَنِ واَلْمُحِيْطِ الَّذِي وُجِدَ فيهمَا، وَإِنَّ اَلْمُسْلِمِيْنَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَرْقُوا سُلّمَ الحَضَارَةِ والتَّمَدُنِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتْرُكُوا دِيْنَهُمْ، وَيَنْبُذُوا القُرْآنَ وَأَوَامِرَهُ ظِهْرِيًّا؛ لأَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِالخُمُولِ والتَّعَصُّبِ .. وأَنَّ الإِسْلامَ هُوَ اَلْعَقَبَةُ اَلْكَؤُوْدُ في سبيلِ رُقِيِ الأُمَّةِ"[2]...ثُمَّ أَوْضَحَ البَدِيْلَ عَنْ الإِسْلَامِ، وَهُوَ تَبَنِّي اَلْفِكْرَ الأوربي فَقَالَ:"إِنَّ اَلْمُسْلِمَ غَيْرُ اَلْمُتَخَلّقِ بِأَخْلَاقٍ أُوربيَّةٍ لا يَصْلُحُ لِحُكْمِ مِصْرَ، وَأَنَّ اَلْمُسْتَقْبَلَ الوِزَارِي سَيَكُوْنُ للمِصْرِيِّين اَلْمُتَربيين تَرْبِيَةً أُوْرُبِيَّةً"[3].

وحاولَ الغَرْبُ طَرْحَ البَدَائِلِ مِنْ مَذَاهِبَ فِكريَّةٍ أوربيَّةٍ؛ لِتَكُوْنَ مِنْهَاجًا للحَيَاةِ، يَسِيْرُ الإِنْسَانُ عَلَى مَبَادِئِهَا، وقَدْ تَعَدَّدَتْ هَذِهِ اَلْمَذَاهِبُ في أوربا، و"كَانَ أَقْدَمُهَا اَلْمَذْهَبَ اَلْمَادِيَّ ونظريَّةَ النُّشُوءِ والارْتِقَاءِ ومَذْهَبَ نِتْشَه "الوُجُودِيَّةُ" وروسُّو، ثُمَّ النَّظريَّةَ اَلْمَاركسيَّةَ والتَّحليلَ النَّفْسيَّ، والسِّرياليَّةَ والنَّازيَّةَ والفَاشِيَّةَ والبراجْمَاتِزْمَ، وكانَ للاسْتِعْمَارِ نَظَرِيَّاتُهُ التي كانَ أَبْرَزُهَا نَظَرِيَةَ الأَجْنَاسِ «الآرِيَّةُ والسَّامِيَّةُ»، ونظريَّةُ تَفَوُّقِ الرَّجُلِ الأَبْيَضِ وَحَقِّهِ في حِمَايَةِ الحَضَارَةِ وَتَمَدين الجِنْسِ البَشَرِيّ"[4].

وَهَذِهِ اَلْمَذَاهِبُ نَشَأَتْ في أُوربَا لِتَتَخَلَّصَ منْ اَلْمِسِيْحِيَّةِ،و"كانَتْ هَذِه اَلْمَذَاهِبُ تَهْدُفُ في الحقِيْقَةِ إلى رَسْمِ فَلْسَفَةِ حَيَاةٍ لِلْمُجْتَمَعِ الذي تَخَلَّصَ

(1) المصدر نفسه (ص193).
(2) الفكر العربي المعاصر " في معركة التغريب والتبعية الثقافية "، أنور الجندي (ص193).
(3) المصدر السابق (ص194).
(4) ينظر: الفكر العربي المعاصر، أنور الجندي (ص 138).

مِنْ نَزْعَتِهِ الدِّينيَّةِ اَلْمِسِيْحِيَّةِ بَعْدَ أَنْ تَحرَّرَ مِنْ سُلْطَان الكَنِيْسَةِ وَسُلْطَانِ الكَهَنَةِ، وَفَصَلَ بينَ الدَيْنِ والدَّوْلَةِ، وتَوَالتْ شُكُوكُهُ في الخَالقِ والأَنْبِيَاءِ والأَدْيَانِ والكُتُبِ اَلْمُقَدَّسَةِ"[1].بَيْدَ أَنَّ الاسْتِعْمَارَ حَاوَلَ أَنْ يَنْشُرَ هَذِهِ اَلْمَذَاهِبَ في الحيَاةِ الفِكْرِيَّةِ؛ كي يَتَبَنَّاهَا مُفَكِّرُو الإِسْلَامِ، والعَجِيْبُ أَنَّ الفِكْرَ العربيَّ تَأَثَّرَ تَأَثُّراً بَلَغَ أَقْصَى حَدٍّ، وَرَاحَ بَعْضُ مُفَكِّرُو العَرَبِ بِتَبَنِّي هَذِهِ الأَفْكَارِ، ودَعُوا إلى أَنَّهُ لا سَبِيْلَ إلى النُّهُوضِ بِهَذِهِ اَلأُمَّةِ إِلَّا بِتَطْبِيْقِهَا، وأَخَذَ اَلْمُستشرقون الذين يُدَرِّسُونَ في جَامِعَاتِ مِصْرَ والعَرَبِ، بِبثِ هَذِه الأَفْكَارِ بينَ الطَّلَبَةِ، وحَاوَلُوا تَرْوِيْجَ كُتُبَ اَلْمَذَاهِبِ الغَربيَّةِ في الأَوْسَاطِ العِلْمِيَةِ.يقولُ د.عاطفُ العراقِي:"إِنَّنَا يجبُ أنْ نُدْرِكَ أَنَّ حَرَكَةَ التَّنْويرِ في مِصْرَ وخَاصَّةً في الفَتْرَةِ مِنْ مِنْتَصَفِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر إلى مُنْتَصَفِ القَرْنِ العِشْرِيْنَ، قَامَتْ عَلَى الإِيْمَانِ بِفِكْرَةٍ رَئِيْسَةٍ، وهِيَ ضَرُوْرَةُ اَلانْفِتَاحِ عَلَى الغَرْبِ وَدِرَاسَةِ أَفْكَارِهِ"[2].

هذا، وقد أشارَ عبدُ الوهاب عزَّام في مؤتمر الطلبة الشرقيين عام 1932 م ، إلى مَسْأَلَةِ التَّغريبِ الَّذي أَصَابَ العَدِيْدَ مِنْ شَبَابِ الأُمَّةِ آنَذَاك، والذي جعلهم يأخذُوا كُلَّ ما يأتي من الغَرْبِ دون تَمحيصٍ، مُبيّنًا خَطأَ هَذَا، وأَنَّهُ يَجبُ التَّفرقَةُ بين الإِفَادَةِ من العُلُومِ التَّجريبيَّةِ وبينَ العَقَائِدِ والعَادَاتِ والأَخْلاقِ، فقال:"أَضَلَّ الشَّرقيونَ أَنْفُسَهُمْ فَإِذَا هُمْ أَجْسَادٌ تنبضُ بِقُلُوبِ الغَرْبِ، وإِذَا هُمْ مُسْتَسْلِمُونَ لِكُلِّ مَا تَطَّلِعُ به أوربا، مُنْقَادُون لِكُلِّ مَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ، مُتَهَافِتُونَ عَلَى كُلِّ مَا اِتَّصَلَ بِهَا ثُمَّ إِذَا هُم أَذِلَّاءُ مُقَلِّدُونَ، يُحقِّرُون أَنْفُسَهُمْ وآبَاءَهِم ومِيراثَ حَضَارَتِهم وتاريخَهُم إِلَّا أَنْ تَعْلمَ أوربا أَبًا مِنْ

(1) المصدر نفسه (ص 138).

(2) ينظر: البحث عن المعقول أم الثقافة العربية، د.عاطف العراقي (ص269).

آبَائِهِم أو تُعْجَبُ بِمَأْثَرةٍ مِنْ مَآثِرِهِمْ؛ فَيَقْتَدُوا بِهَا... وَالخُلاصَةُ أَنَّ الشَّرقيين يَتَلَقُّونَ عَنْ الغَرْبيين أَفْكَارَهُمْ وعَقَائِدَهُم، كَمَا يَأْخُذُونَ مِنْهُم مَنْسُوْجَاتِ القُطْنِ والصُّوْفِ... ذلكم حَالُنَا اليومَ وموقفُنَا مِنْ أوربا، فَمَا وَرَاءَ هَذِه الأَدْوَاءِ إِنْ أَرَدْنَا لأنفُسِنَا السَّلامَةَ والعَافِيَةَ؟ أَوَّلُ عُنْصُرٍ في هَذَا الدَّوَاءَ أَنْ نَجِدَ أَنْفُسَنَا، بعدَ أَنْ فَقَدنَاهَا وضَلَلنَا عَنْهَا؛ أعني: أَنْ نَعِدَّ أَنْفُسَنَا أُنَاسًا أحياءً مُفكّرين لهم حُقُوقٌ في هذه الحَيَاةِ وعليهم واجِبَاتٌ، يَرْبَئُونَ أَنْ يُسَخَّرُوا لِغَيرِهِمْ..فَإِذَا أَحْسَسْنَا في أَنْفُسِنَا كَرَامَةَ الإِنْسَانِ وأَنَفَةَ الحُرّ، فَكَّرْنَا فَعَرِفْنَا الَّذِي نَأْخُذُ مِنْ أوربا والَّذي نَدَعُ، والَّذِي نَسْتَحْسِنُ لأنفُسِنَا والَّذَي نَدَعُ، ونقَدْنَا فَقُلْنَا هذَا حَلالٌ وهَذَا حَرَامٌ، وهذا طَيّبٌ وهذا خبيثٌ..ولكنْ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا في العَقَائِدِ والخُلُقِ وسُنَنِ الاجْتِمَاعِ، فَإِنَّ لِكُلّ أُمَّةٍ مِنْ أَخْلَاقِهَا وآدَابِهَا ثَوْبًا حَاكَتْهُ القُرُونُ، وعَمِلَتْ فيهِ الأَجْيَالُ، فَلَيْسَ يَصْلُحُ لِغَيْرِهَا، وَلَا يَصْلُحُ لَهَا غَيْرهَا"[1].

هَكَذَا يَرْفُضُ حملَةَ التَّغريبِ وظَاهِرَةَ التَّقليدِ لِكُلّ مَا هُوَ غَربي، ويَرَي أَنْ نَبْحَثَ عَنْ الذَّاتِيَّةِ "أَنْ نَجِدَ أَنْفُسَنَا بَعْدَ أَنْ فَقَدْنَاهَا"؛ بالرُّجُوعِ إلى الجُذُورِ الأَصْلِ، ثُمَّ نَنْتَقِي مِنْ الحَضَارَةِ الغَرْبيَّةِ، وَنُمَيّزُ بينَ العُلُومِ والصَّنَائِعِ وبينَ العَقَائدِ والخُلُقِ وسُنَنِ الاجْتِمَاعِ.

(1) ينظر: عبد الوهاب عزام ، ملحق السياسة الأدبي ، 14 جمادي 1351 ه – 14 /1932/10م ، خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين .

• نَمُوْذَجٌ مِنْ التَّبَعِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ.

نُشيرُ هُنَا إلي نموذجٍ مِنْ النَّمَاذِجِ التي تَبَنَّتْ مَذْهَبًا غربيًّا في أَوَائِلِ حَيَاتِهِ الفِكْرِيَّةِ وَظَلَّ رَائِدًا لِلْفِكْرِ الغَرْبيّ الَّذِي تَبَنَّاهُ قَبْلَ تَحَوُّلِهِ الفِكْرِيّ إلى الإِسْلَامِ، هَذَا النَّمُوذَجُ هُوَ الدُّكتور عبدالرحمن بدوي، فقد تَأَثَّرَ وأَثَّرَ في هَذِهِ الحركَةِ الفكْرِيَّةِ التي تَبَنَّتْ التَّيَّارَاتِ واَلْمَذَاهِبَ الغربيَّةَ.

فَلَقَدْ انتشَرَتْ الكُتُبُ اَلْمُتَحرِّرَةُ مِنْ العَقَائِدِ في الحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ، فَجَذَبَتْ هَذِهِ الكُتُبُ اِنْتِبَاهَ بَدَوِي؛ وهُوَ في سِنِّ مُبْكرةٍ، فَقَالَ:"وَجَذَبَتْ اِهْتِمَامِي مَجموعَةٌ خَاصَّةٌ كَانَتْ تَصْدرُهَا "مكتبةُ اَلْمُفَكِّرِ"، وكانَتْ تَحْتَوِي عَلَى كُتُبٍ ذَاتِ نَزْعَةٍ عقليَّةٍ حُرَّةٍ مُتَحرِّرَةٍ من العَقَائِدِ، وكَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ قَرَأْتُهُ مِنْهَا هُوَ "اِسْتِشْهَادُ الإِنْسَانِ"، فَقَادَني إلى سَائِرِ كُتُبِ هَذِه اَلْمَجْمُوْعَةِ "لُغْزِ العَالَمِ".. و"مدنيَةُ اللَّيلِ الرَّهيبِ"، وهي قصيدَةٌ فلسفيَّةٌ طويلةٌ ذاتُ نَزْعَةٍ مُتَحَرِّرَةٍ مِنْ كُلِّ عَقِيْدَةٍ.. وَبِـهَذِهِ القِرَاءَاتِ ذاتِ الرَّوَافِدِ اَلْمُتَعَدِّدَةِ اِسْتَطَعْتُ أَنْ أَهْتَدِيَ إلى طريقِي في الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ والفَلْسَفِيَّةِ"[1].

هَذَا، ولَقَدْ أَثَّرَ عليه أَسَاتِذَتُهُ مِنْ اَلْمُستشرقين في الجَامِعَةِ، و"يُعَدُّ د.بدوي مِنْ أَكْثَرِ أَسَاتِذَةِ الفَلْسَفَةِ اِنْفِتَاحًا عَلَى الأَفْكَارِ الغَرْبِيَّةِ الأُوربيَّةِ، إِذْ أَنَّهُ تَأَثَّرَ بِمجْمُوعَةِ الأُوربيين الَّذِينَ قَامُوا بِالتَّدْرِيسِ لَهُ حِيْنَمَا كَانَ طَالِبًا في الجَامِعَةِ اَلْمِصْرِيَّةِ"[2].

بَلْ إِنَّ بدوي يُشِيْرُ إلى أَنَّ أَحَدَ أَسَاتِذَتِهِ مِنْ اَلْمُسْتشرقين وهُوَ "كويريه" كَانَ لَهُ اَلْفَضْلُ حَسْبَمَا يَقُوْلُ في "تَوْجِيهِي في مِيْدَانِ الفَلْسَفَةِ

(1) ينظر: سيرة حياتي د.بدوي (1/ 46) .
(2) ينظر: مشوار العمر ، حسين عبد الواحد (ص31).

الوُجُوْدِيَّةِ، وقَدْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ دَقِيْقٍ بِهَا"[1].

مِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ لَنَا مَدَى تَأَثُّرِ بَدَوِي بِالْمَذَاهِبِ الفِكْرِيَّةِ في عَصْرِهِ، بَلْ قَدْ أَثَّرَ هُوَ في الحَيَاةِ الفِكْرِيَّةِ، فَكَانَ مِنْ الرُّوَّادِ الَّذِين أَخَذُوا عَلَى عَاتِقِهِمْ بِنَاءَ الفِكْرِ الفَلْسَفِيِّ اَلْمُعَاصِرِ، بَلْ أَثَّرَ في الحَيَاةِ الفِكْرِيَّةِ تَأْثِيراً يَعْجَزُ عَنْهُ جِيْلٌ بِأَكْمَلِهِ.[2]

*****

(1) ينظر: سيرة حياتي (65/1).

(2) ينظر: أثر بدوي في الحياة الفكرية في : بدوي في نظر علماء عصره (ص34).

اَلْمَبْحَثُ الثَّانِي:

مُحَاوَلَةُ رَبْطِ اَلْفِكْرِ اَلْغَرْبِيّ بِالإِسْلَامِ.

مِنْ اَلْمَعْرُوفِ لِدَارِسِي الحَيَاةِ اَلْفِكْرِيَّةِ اَلْمُعَاصِرَةِ أَنَ هُنَاكَ فَرِيقًا مِنْ اَلْعُلَمَاءِ الَّذِين دَرَسُوا اَلْفِكْرَ الغَرْبِيَّ تَأَثَّرُوا بِالْمَذَاهِبِ والتَّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وهَذِه اَلْمَذَاهِبُ أغلبُهَا مَذَاهِبُ إلحادِيَةٌ، وهَذَا الفَرِيْقُ مَنْ العُلمَاءِ – الَّذِين اِنْبَهَرُوا وَتَأَثَّرُوا بِالْمَذَاهِبِ الغَرْبيَةِ – وَصَلَ بِهِمْ الأَمْرَ لَيْسَ فَقَطْ تَبَنِّي هَذِهِ اَلْمَذَاهِبِ وَنَشْرِهَا في العَالَمِ الإِسْلَامِي، بَلْ تَـخَطُّوا هَذِه اَلْمَرْحَلَةِ إلى مَرْحَلَةِ رَبْطِ هَذِهِ اَلْمَذَاهِبَ بالدِيْنِ الإِسْلامي نَفْسِهِ.وَهَذَا اَلْمَسْلَكُ الَّذِي سَلَكَهُ اَلْبَعْضُ اَلْـهَدَفُ مِنْهُ مُـحَاوَلَةُ إِيْجَادِ شَيْءٍ في القُرْآنِ أو السُّنَّةِ أو التُّراثِ الإِسْلامِيّ مَا يُقَوّي مَذَاهِبَهُم وأَفْكَارَهُمْ، وَيُيَسِّرُ لَـهُمْ اَلأَمْرَ في نَشْرِ هَذِهِ الأَفْكَارِ وَتَرْوِيْـجِهَا في اَلْعَالَـمِ اَلإِسْلَامِيّ، وَلِتَجِدَ قَبُولاً لَدَى اَلْمُسْلِمِيْنَ.

فَنَجِدُ هُنَا د.عبد الرحمن بدوي تَبَنَّى اَلْمَذْهَبَ الوُجُودَيَّ، هَذَا اَلْمَذْهَبُ أوربيُّ النَّشْأَةِ واَلْمَضْمُونِ، تَبَنَّاهُ د.بدوي، أَلَّفَ فيه مُحاولاً نَشْرَهُ في البِيْئَةِ العَرَبِيَّةِ والإِسْلامِيَةِ، ولكِنَّهُ – مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِ البَاحِثَة – رَأَى أَنَّ دَعْوَتَهُ هَذِهِ لَمْ تَـجِدْ رَوَاجاً بالشَّكْلِ الَّذِي يَرْتَضِيْهِ، فَحَاوَلَ أَنْ يَرْبِطَ بينَ الوُجُودِيَّةِ كَمَذْهَبٍ فَلْسَفِيٍّ، وبينَ التَّصَوُّفِ الإِسْلامِيّ، وَحَاوَلَ أَنْ يَـجِدَ يَنَابِيْعَ لِلْوُجُودِيَّةِ في التَّصَوُّفِ الإِسْلامِيّ، وَمُـحَاوَلَةُ بدوي لإبرَازِ عَنَاصِرَ مِنْ اَلْفِكْرِ الوُجُوديّ اَلْمُعَاصِرِ في أَقْوَالِ وأَفْعَالِ قُدَمَاءِ الصُّوفِيَّةِ في العُصُورِ الوُسْطَى الإِسْلامِيَّةِ، كَانَتْ أَيْضًا"بِمَثَابَةِ رَدٍّ عَلَى الأَقْوَالِ، وَرُدُودِ الفِعْلِ العَنِيْفَةِ التي بَدَرَتْ مِنْ عَامَّةِ اَلْمُثَقَّفِينَ والدَّوَائِرِ .... عِنْدَ ظُهُورِ كِتَابَاتِهِ عَنْ الفَلْسَفَةِ الوُجُودِيَّةِ ... فَكَانَ اَلْبَعْضُ يَنْظُرُونَ إلى الوُجُودِيَّةِ عَلَى أَنَـهَا ثَـمَرَةُ اِنْـحِلَالِ

يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ، ويَقْضُوْنَ جَلَسَاتِهِمْ في النَّكَاتِ والطَّرَائِفِ التي يَحْكُوْنَهَا عَنْ الوُجُودِيَّةِ وَرِجَالِهَا، والشَّبَابِ الغربيّ اَلْمُلْحِدِ اَلْمُنْحَلّ"[1].

وَلَقَدْ أَكَّدَ بَعْضُ البَاحِثِينَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَرَّضَ لِهَذِهِ اَلْمُحَاوَلَةِ فَقَالَ:"وَلَعَلَّهُ فِيْمَا نَعْلَمُ أَوَّلُ مَنْ تَعَرَّضَ لِتِلْكَ اَلْعَلَاقَةِ مِنْ البَاحِثِين العَرَبِ"[2].وَمَا فَعَلَهُ د.بدوي مِنْ مُحَاوَلَةٍ لِإِيْجَادِ بُذُورٍ لِلْمَذْهَبِ اَلْوُجُودِي الَّذِي تَبَنَّاهُ في التُّراثِ الإِسْلامِيّ، وَكَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ دَعَى إِلى وُجُودِ عَلَاقَةٍ بَيْنَ التَّصَوُّفِ الإِسْلامِي واَلْمَذْهَبِ الوُجُودِي.

نَقُولُ: هَذَا اَلْمَسْلَكُ سَلَكَهُ بَعْضُ اَلْمُفَكِّرِيْنَ الَّذِين لَهُمْ دَوْرٌ مُؤَثِّرٌ في الحَيَاةِ الفِكْرِيَّةِ، فَحَاولُوا رَبْطَ الأَفْكَارِ الغَرِبِيَّةِ بالتُّراثِ الإِسلامِيّ، ومِنْ أَمْثِلَةِ هَؤلاءِ الشَّيخُ:علي عبد الرازق (1305– 1386هـ/1887– 1966م) في كِتَابِهِ "الإِسْلامُ وَأُصُولُ الحُكْمِ"، فَلَقَدْ فُتِنَ بِالعَلْمَانِيَةِ الغَرْبِيَّةِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى نَشْرِهَا في البِيْئَةِ الإِسْلامِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ "ذَهَبَ فَادَّعَى دَعْوَى غَيْرَ مَسْبوقَةٍ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ دَرَسَ الإِسْلامَ وتاريخَهُ الحَضَاريَّ – مُسْلِمًا كَانَ هَذَا الدَّارِسُ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمٍ – لقد ادَّعى عَلْمَانِيَّةَ الإِسْلامِ؛ بِمَعْنَى اِنْقِطَاعِ الصِّلَةِ بينَهُ وبينَ دِيْنِ السِّيَاسَةِ والدَّولَةِ والعُمْرَانِ الاجتماعي"[3]. فكَمَا أَنَّ د.بدوي حَاوَلَ أَنْ يَجِدَ عَلاقَةً بينَ الإِسْلامِ والوُجُوديَّةِ، أيضًا كان الشيخُ:علي عبد الرازق أَوَّلَ مَنْ دَعَا إلى عَلْمَانِيَّةِ الإِسْلامِ؛ أي: أَنَّ فَصْلَ الدِّين عَنْ كُلِّ

(1) ينظر: ينابيع الفكر المصري المعاصر، د.عبد الفتاح الديري (ص235)، مكتبة الأنجلو المصرية عام 1982م.

(2) مقال عبد الرحمن بدوي ومكانته في الفلسفة الحديثة، د.أحمد القاضي ضمن كتاب عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة (ص271).

(3) الإسلام والسياسة "الرد على شبهات العلمانيين"، د.محمد عماره (ص68)، ط: الثالثة دار الرشاد سنة 1997م.

شُئُونِ الحَيَاةِ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ في اَلإِسْلامِ.

فلقد أنكرَ الشَّيخُ: علي عبد الرازق "إِقَامَةَ الرَسُولِ ﷺ دَوْلَةً، وتِلْكَ دَعْوَى اِنْفَرَدَ بِهَا الرَّجُلُ... وَزَعَمَ أَنَّ الإِسْلَامَ لا يَنْقُصُ مِنْه شَيْءٌ إِذَا اِخْتَارَ أَهْلَهُ أَيَّ نِظَامٍ مِنْ نُظُمِ الحُكْمِ حَتَّى ولَو كَانَ البَلْشَفِيَّةَ، وأَنَّ الإِسْلامَ لَيْسَ إِلَّا رِسَالَةٌ دِينيَّةٌ خَالِصَةٌ كَالدِّيَانَاتِ التي سَبَقَتْهُ .. ونَبِيُّهُ ورسُولُه مُحمَّدٌ ﷺ كذلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رسولَ دَعْوَةٍ دينيَّةٍ خَالِصَةٍ كالخَالينَ قَبْلَهُ مِنْ الرُّسُلِ، فَلا عَلاقَةَ بينَ السِّيَاسَةِ وبينَ الإِسْلَامِ"[1].

هَذَا مُلَخَّصٌ لِمَضْمُونِ كِتَابِ الشَّيخِ مصطفى عبد الرازق:"الإسلامُ وأصولُ الحُكْمِ" الذي ادَّعى فيه عَلمانيَّةَ الإِسْلامِ، والَّذِي قالَ فيه:"إِنَ محمدًا ﷺ ما كانَ إلا رسولاً لدعوةٍ دينيَّةٍ خالصَةٍ للدِّينِ... غيرِ مَشوبَةٍ بشيءٍ مِنْ الحُكْمِ، وأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِتَأْسِيْسِ مَمْلَكَةٍ بالمعنى الذي يفهم سياسةَ مِنْ هذه الكَلِمَةِ ومُرَادِفَاتِها، مَا كَانَ إِلَّا رسولاً كإخوانِه الخَالين مِنْ الرُسُلِ، ومَا كَانَ مَلِكاً ولا مُؤسِّسَ دَوْلَةٍ ولا داعياً إلى مُلْكٍ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حُكُومَةٍ، ولا دولة، ولا شيء من نِزَعَاتِ السِّيَاسَةِ، ولا أَعْرَاضِ الملوكِ والأُمَرَاءِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَرْتيبٌ حُكُومِيٌّ، ولَمْ يَكُنْ ثَمَّةُ ولاة، ولا قُضَاة، ولا ديوان...الخ ..كانَتْ زعَامَةً دينيَّةً .. ويَا بُعْدَ مَا بينَ السِيَاسَةِ والدِّيْنِ"[2].

وليسَ اَلْمَقَامُ هُنَا لِلْحَدِيثِ عَنْ اَلْمَعركَةِ الفِكْرِيَّةِ التي دَارَتْ آنذاك – أي: وقْت صُدُورِ كتَابِ الشيخ علي عبد الرازق – ولا عن رأي الباحثة في

(1) الإسلام والسياسة "الرد على شبهات العلمانيين"، د.محمد عمارة (ص68).
(2) الإسلام وأصول الحكم من (ص48 –80)، ط:القاهرة سنة 1925م . نقلاً عن الإسلام والسياسة "الرد على شبهات العلمانيين "، د.محمد عمارة (ص68).

هذه المعركة. ولكنها إشارةٌ فقط أوردتها الباحثة عن اختراقِ الفِكْرِ الغربي لِمُفكرينا في القرنِ العشرين، وكيفَ أَنَّ الحَالَ وَصَلَ بِهِمْ إلى رَبْطِ الأَفْكَارِ الغربيَّةِ – البَعيدَةِ كُلَّ البُعْدِ عَنْ عَقِيدَةِ وشَرِيعَةِ وأَخْلاقِ الإِسْلامِ – بالإسلامِ نَفْسِهِ، وأنَّ فيه هذه التيارات الفكرية. ونُشيرُ هُنَا أيضاً إلى أن هناك بعضاً من المفكرين ذهبُوا إلى أنَّ الإسلامَ فيه الاشتراكيَّةُ أو الشَّيوعيَّةُ، وزعَمُوا أنَّ أبَا ذَرٍّ الغِفَاري نَادَى بالاشتراكيَّةِ أو الشُّيوعية في الإسلامِ؛ مِمَّا دعي د.عبد الحليم محمود إلى الرَّدِّ عَلَى هَذَا الزَّعْمِ في عَدَدٍ مِنْ كُتُبِهِ[1].ونقتصرُ على كِتَابِ:"أبو ذرٍ والشُّيوعيَّةُ"، هذا الكِتَابُ الَّذِي أشَارَ فيه د.عبد الحليم محمود إلى الذين ينسبون القول بالشيوعية إلى أبي ذر وأنه نادى بها، وأنَّـها لها صِلَةٌ بالدِّينِ الإسلامي، فَفَنَّدَ هَذَا الزَّعْمَ بَعْدَمَا سَمِعَ عنه فَقَالَ عن ذلك :"فقد كنتُ من زَمَنٍ بعيدٍ أسمعُ أحاديثَ هُنَا وهُنَاكَ عن أبي ذر وصلتِهِ بالشيوعيَّةِ أو الاشتراكيَّةِ"[2].

فعكف د.عبد الحليم محمود على دراسة الشيوعية حتى وصل إلى أنَّـها "مِنْ أَعْدَى أعدَاءِ الإِسْلامِ، كَمَا أَنَّـهَا مِنْ أَعْدَى أعداءِ اَلْمَسيحيَّةِ"[3]. ووصلَ أيضاً إلى"أَنَّ الشُّيوعيَّةَ في العقيدَةِ مُنَاقِضَةً للإسلامِ مُنَاقَضَةً تَامَّةً! ثُمَّ قالَ: والآنَ نتساءَلُ: مَا هي الصِّلَةُ بينَ أبي ذرٍ والشّيوعيَةِ؟ والإجابَةُ معروفَةٌ واضِحَةٌ، إنَّـهَا الصِّلَةُ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ، الصِّلَةُ بينَ الإسْلامِ والإلحَادِ، مَا نصيبُ الشيوعيَّةِ في أبي ذر لو عَلِمَ بِها ؟ إنَّ نَصِيْبَهَا مِنْهُ

(1) من هذه الكتب الشيوعية ، فتاوى العلماء في الشيوعية ، وأبو ذر الغفاري والشيوعية .

(2) أبو ذر والشيوعية . د.عبد الحليم محمود (ص7)، دار المعارف ، ط : 5، سنة 1999م.

(3) المصدر السابق (ص8).

اللَّعْنَةُ، وإنَّ نصيبَها منه العَدَاوَةُ إلى حَدِّ السَّيْفِ، وأنَّ نصيبَها منه مَقْتُ اَلْمُؤمِنِ لِمَنْ يُحَادُّ اللهَ ورسُولَهُ"(1).

ووصلَ أيضًا بَعْدَ مُقارنَةٍ بينَ الشُّيوعيَّةِ الاشتراكيَّةِ التي تَدعُو إلى الإلحَادِ، والانتهازيَّةِ واَلْمَادِيَّةِ الصِّرْفَةِ، وبينَ أبي ذرٍ وإيمانِهِ وأخلاقِهِ؛ وَصَلَ إلى "التَّعَارُضِ التَّامِّ بينَ أبي ذرٍ والشُّيوعيَّةِ في العَقِيْدَةِ والتَعَارُضِ التَّامِّ بينَ أبي ذَرٍّ والشُّيوعيَّةِ في النِّظَامِ اَلْمَالي، وهَا هُوَ ذَا يَتَعَارَضُ مَعَ الشُّيوعيَّةِ تَعَارُضًا تَامًّا في الأَخْلَاقِ"(2).يقولُ د.مصطفي محمود:"انتهتْ اَلْمَاركسيَّةُ مِنْ العَالَمِ كَفِكْرٍ، ولكنَّ اَلْماركسيين في بلادِنَا وَقَدْ كَسَدَتْ بِضَاعَتُهُمْ، عَادُوا إلي التَّسَلُّلِ بأَسَالِيْبَ أُخْرَى هَذِهِ اَلْمَرَةِ؛ بوجُوهٍ إسلاميَّةٍ ولُغَةٍ إسلاميَّةٍ، مُحاولين رُكوبَ اَلْمَوْجَةِ الدِّينيَّةِ، وتلفيقَ حِلْفٍ بين الماركسيين والإسلام، ورأينا "خالد محي الدين" –أبرز يساري في قيادة الثورة المصرية– يضع نيشان "لينين" علي صدره ومصحف محمدٍ في يده قائلًا: وَلِمَاذَا لا تُضِيْفُ إلي اَلْماركسيَّةِ بُعْدًا رُوْحِيًّا".

ناسيًا أنَّهُ بذلك يفترِي علي مَاركس في قبره، ويفتري على مُحمَّدٍ في مَثْوَاهُ، وأنَّهُ يُزَيِّفُ لَنَا الاثنين في نَفْسِ الوَقْتِ، كيفَ سَيَضَعُ لَنَا خالد محي الدين هذه اَلْماركسيَّةَ اَلْماديَّةَ اَلْمُلْحِدَةَ، ومِنْ الإِسْلامِ الصَافِي اَلْعَذْبِ اَلْمُؤْمِنِ تَرْكِيبًا مَنْطِقِيًّا، وكُلٌّ مِنْ اَلْمَذهبين يَرْفُضُ الآخَرَ كُلِيَّةً، كيفَ يصنعُ منْ الإيمانِ والإنكَارِ رَجُلًا؟ إِلَّا أَنْ يكونَ رَجُلًا مُتَنَاقِضًا مُصَابًا بِانْفِصَامِ الشَّخصيَّةِ لا يصلحُ لشيءٍ"(3).

---

(1) أبو ذر والشيوعية، د.عبد الحليم (ص17، 18) بتصرف .

(2) المصدر السابق (ص81).

(3) لماذا رفضت الماركسية ، د.مصطفي محمود ، القاهرة 1975م ، (ص28).

وبعدُ، فإنَّنا نَجِدُ أَنَّ مُحَاوَلَةَ رَبْطِ التَّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ الغَربيَّةِ بِالإِسْلامِ وأَتْبَاعِه مِنْ قِبَلِ اَلْمُفكّرين العَرَبِ واَلْمُسلمين اَلْهَدَفُ مِنْهَا تَرْويجَ هَذه اَلْمَذَاهِبِ في البِيْئَةِ الإِسْلامِيَّةِ والعربيَّةِ، فَلَقَدَ وَجَدْنَا د.عبد الرحمن بدوي وهو يتلمَّسُ علاقَةً بينَ اَلْمَذهَبِ الوُجُودِيّ وبينَ الإِسْلامِ؛ مُتَمَثِّلاً في التَّصَوُّفِ الإسلاميّ، ووجَدْنَا الشَّيخَ: علي عبد الرازق وإعلانَه أَنَّ العَلمانيَّةَ في الإِسْلامِ، ووجَدْنَا البَعْضَ يَرْبِطُ بينَ الشُّيوعيَّةِ أو الاشتراكيَّةِ وبينَ الإسلامِ، وزَعَمَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ نَادَى بِهَا، وَكَمَا قُلْنَا إِنَّ عَلاقَةَ اَلإِسْلامِ بِالْمَذَاهِبِ والتَّيّارَاتِ الإلحاديَّةِ هِي العَلاقَةُ بينَ الإِسْلامِ والكُفْرِ، بينَ الإيمانِ والإلحَادِ، وأَنَّ الإسلامَ بعيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنْ كُلِّ اَلْمَذَاهِبِ الحديثَةِ التي تُنَاقِضُ مَبَادِئَ الإِسْلامِ وعَقِيْدَتَه وشَرْعَهُ وأَخْلاقَهُ، وليستْ للتَّياراتِ الغربيَّةِ هَذِه نَصِيْبٌ فيه، اللَهُمَّ إِلَّا حِيْنَمَا تُلَفَّقُ الآرَاءُ، وتُزَيَّفُ الحَقَائِقُ، وأَنَّ مُجَرَّدَ التَّشَابُهِ في بَعْضِ الأَلْفَاظِ لا يَعْني اَلْمُصَاهَرَةَ وعَدَمَ التَّضَادِّ، أَيْضًا نَجِدُ أَنَّ هَذِه التَّيارَاتِ الفِكْرِيَّةَ تَتَهَاوَى بِمُرُورِ الزَّمَنِ،فَلَقَدْ اِنْهَارَتْ الشُّيوعيَّةُ في عُقْرِ دَارِهَا،وسَيَنْهَارُ التَّيَّارُ العَلْمَاني–الَّذِي لَهُ أَذْنَابٌ اليومَ– إِنْ شَاءَ الله.

وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَذْهَبِ الوُجُودي أَيُّ أَثَرٍ، يقولُ د.محمود زقزوق:"كَكُلِّ بِدْعَةٍ مِنْ بِدَعِ العَصْرِ اِزْدَهَرَتْ الوُجُوديَّةُ... فترةً مِنْ الزَّمَانِ، استنفدت أغراضها، ولم يَعُدْ لها البريقُ الذي كان لها، ولم تعدْ حديثَ الصَّالوناتِ الأدبيَّةِ والفنيَّةِ بعدَ أَنْ عَرِفَ النَّاسُ أَنَّها سَرَابٌ يَحْسَبُه الظَّمآنُ ماءً، حتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"[1].

ثُمَّ يُعلِّلُ د.زقزوق على انهيارِ الوُجُوديَّةِ بِأَنَّها:"هِيَ نَبْتٌ غَرِيبٌ لا

(1) ينظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق (ص233)، ط: الثالثة، دار الفكر العربي، 1993م.

مَكَانَ لَهُ في أَيِّ مُجتمعٍ يَحْرِصُ عَلَى قِيَمِهِ الدِينيَّةِ والخُلُقيَّةِ، فَالْمُؤمنُ صَاحِبُ الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ لا يَشْعُرُ أَبَدًا باليَأْسِ ولا بِالقَلَقِ، فالإيمانُ يَمنَحُهُ الأَمَلَ ويُشْعِرُهُ بالسَّكينَةِ، وهُوَ عَلَى يَقينٍ بِأَنَّهُ مَسْئولٌ مسئوليَّةً تامَّةً عَنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَدَعُ، وهو يثقُ في عدلِ اللهِ وحِكْمَتِهِ"[1].

إِذَنْ ويبقَى الإِسْلامُ بعقيدَتِهِ وشَرِيعَتِهِ وأَخْلاقِهِ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ والأرضُ، وعَلَى اَلْمُفكِّرين أَنْ يَتَدَبَّرُوا قَوْلَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[3].

*****

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) آل عمران : 101 .

(3) المائدة : 3 .

اَلْمَبْحَثُ الثَّالِثُ:

أَسْبَابُ التَّحَوُّلِ مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إِلَى مَنْهَجِ اَلإِسْلَامِ.

إنَّ الغَرْبَ يُكِنُّ للإِسْلامِ عَدَاءً شَديدًا، ويُحَاوِلُ الهُجُومَ عَلَى الإِسْلامِ بِشَتَّى الطُرُقِ بُغْيَةَ القَضَاءِ عَلَيْهِ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ في الحُرُوبِ العَسْكَرِيَّةِ، والحُرُوبِ الاقْتِصَادِيَّةِ أيضًا، والغَزْوُ الثَّقَافِي وذلك لِتَشْوِيْهِ الإِسْلامِ في الغَرْبِ، ولَقَدْ جُنِّدَ اَلْمُسْتَشْرِقُونَ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ أَيْضًا للنَّيْلِ مِنْ اَلْمَنْهَجِ الإِسْلَامِي، وكَانَ اَلْهُجُومُ عَلَى اَلْمَصدَرَيْنِ الأَوَلِ والثَاني للتَّشْرِيعِ الإِسْلامِيّ؛ القُرْآنِ والنَّبَيّ.

فَمِنْ أَسْبَابِ عَوْدَةِ العَدِيْدِ مِنْ اَلْمُفَكِّرِين الَّذِين تَأَثَّرُوا بِالتَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَةِ صَدَمَتْهُم في هَذِهِ التَّبَعِيَّةِ الَّتي أَبْعَدَتْهُمْ عَنْ هَوِيَّتِهِمْ، أَيْضًا اَلْفِكْرُ الغَربي والفَلْسَفَاتِ الغربيَّةِ لَمْ يُلَبِيَانِ جَانِبًا مُهِمًا في الإِنْسَانِ؛ وهُوَ الجَانِبُ الرُّوحِيُّ،فَلاذَ هَؤُلاءِ إلى العَقِيْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وأَنَّ الغَرْبَ يُرِيْدُ بُعْدَنَا عَنْ الإِسْلَامِ في الوَقْتِ الَّذِي يُسَانِدُ فيه حَرَكَاتِ التَّبْشِيْرِ بِكُلِّ قُوَّةٍ، يُوَضِّحُ د محمد جابر الأنصاري بَعْضَ أَسْبَابِ تَحَوُّلِ العَدِيْدِ مِنْ اَلْمُفكِّرين مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إلى اَلْمَنْهَجِ الإِسْلَامِيّ بِقَوْلِهِ:"فَشَلتْ الفَلْسَفَةُ اَلْمَادِيَّةُ في إِقْنَاعِ العُقُولِ وإِرْضَاءِ النُّفُوسِ بَعْدَ اِجْتِيَاحِهَا العَالَمَ زُهَاءَ قَرْنٍ كامِلٍ، واغترارُ النَّاسِ بِهَا في غَيْرِ طَائِلٍ.والسَّبَبُ الثَّاني: يَقَظَةُ العَرَبِيَّةِ إِلْيَاذًا بالعقيدَةِ الَّتي تُعِيْدُ ذِكْرَى اَلْمَجْدِ القَدِيمِ .الثَالِثُ: التَبْشِيْرُ وحَرَكَةُ التَّبشيرِ قَدْ اِشْتَدَّتْ"[1].

أَيْضًا لا نُغْفِلُ أَنَّ الفَلْسَفَاتِ واَلْمَذَاهِبَ الغَرْبِيَّةَ لا تَصْلُحُ لَنَا –عَلَى

(1) ينظر: تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، د محمد جابر الأنصاري، سلسلة عالم المعرفة، عدد 35 ، نوفمبر 1980م ، (ص75).

فَرْضِ صَلاحِيتِهَا – لأنَّ التُّربةَ التي نَشَأَتْ فيها تَختلفُ عَنْ التُّربةِ والبيئَةِ العربيَّةِ والإسْلامِيَّةِ، والرُّوْحُ غيرُ الرُّوْحِ فَقَدْ " يَرْجِعُ الشَّرْقِيُّ مِنْ دِيَارِ الغَرْبِ طَائِشًا مِمَّا عَرَضَ له جمَالَ الصَّنْعَةِ، وبَدَائِعَ الفَنِّ وآثارَ التَّعليمِ، ورغَدَ العَيْشِ، فتَشْتَهِي نَفْسُهُ أَنْ يُحَقَّقَ لَهُ كُلَّ ذلك في وَطَنِهِ، غَيْرُ شَاعِرٍ بِأَنَّ الرُّوْحَ غَيْرُ تِلْكَ الرُّوْحِ، وأَنَّ البِيْئَةَ غَيْرُ تِلْكَ البِيْئَةِ وأَنَّ القَوْمَ غَيْرُ أولئكَ القَوْمِ، عَلَى أَنَّ النَّهْضَةَ لا تُوْهَبُ، وَأَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَـهْضَةٌ تُلائِمُهُمْ، والتَقْلِيْدُ لا يُفِيْدُ، والنَّهْضَةُ لا تَدْعُو ولا يُدْعَى لَـها، ومَا نَـهَضَتْ أُمَّةٌ إِلَّا بِدَافِعٍ مِنْ نَفْسِهَا، والدَّافِعُ الَّذِي يَأْتِيْهَا مِنْ الخَارِجِ يُدَهْوِرُهَا وَيُـحَطِّمُهَا"[1].

وَيَتَكَلَّمُ محمدُ حسين هيكل عَنْ عَدَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ جِيْلِهِ الَّذِينَ اِنْبَهَرُوا بِالغَرْبِ لَمَّا ذَهَبُوا إليه، ثُمَّ عَادُوا إلى بِلادِهِمْ ومَا لَبِثُوا إِلَّا أَنْ خَفُتَ هَذَا الانْبِهَارُ، وَرَجَعُوا إِلى أُصُولِـهِمْ الإِسْلاميَّةِ فَقَالَ:"عَادَ هَؤلاءِ إلى بِلادِهِمْ يُبَشِّرُوْنَ بِالحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ، لكنَّهُمْ مَا لَبِثُوا أَنْ صَدَمَتْهُمْ ظَاهِرَتَانِ عَجِيْبَتَانِ أَثَارَتْ دَهْشَتَهُمْ لِتَنَاقُضِهِمَا مَعَ أُصُولِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ تَنَاقُضًا بَيِّنًا.

اَلأولَى: هَذِهِ الحَرْبُ اَلْمُنَظَّمَةُ التي يَقُوْمُ بِهَا الاسْتِعْمَارُ الأوربي لِـحُرِيَّةِ العَقْلِ.

الثَّانِيَةُ: اِنْتِشَارُ اَلْمُبشِّرين الغَرْبيين في كُلِّ مَكَانٍ مِنْ اَلْمُدُنِ الكُبْرَى والصَّغيرةِ، بَلْ في القُرَى؛ يَدْعُونَ إلى اَلْمَسِيحيَّةِ.ثُمَّ رأُوا أَنَّ أُوربا مَسْأَلَةُ استعمارٍ، ثُمَّ وَجَدُوا عِنْدَهُمْ قَضِيَّةَ التَّعَصُّبِ الدِّيني، فَمَا زَالُوا يَذْكُرُونَ الحُرُوبَ الصَّليبيَّةَ، وحمايَةَ الجَمَاعَاتِ التَّبشيريَّةَ الدِّينيَّةَ، وَتَمُدُّهَا بِكُلِّ مَا تَسْتَطيعُ مِنْ قُوَّةٍ، وَتُحَاوُلُ أَنْ تُحَطِّمَ كُلَّ قَلَمٍ وكُلَّ رَأْسٍ يَقِفُ في وَجْهِ

(1) ينظر: رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث،عبد الجبار داوود البصري،(ص50)، نقلًا عن المصدر السابق (ص78).

هَؤلاءِ "[1].

وفي هذا يقول المستشرق "جب" في كتابه :وجهة الإسلام":" إنَّ كثيرين من الشَّبَابِ الَّذين حملُوا لِوَاءَ الحَضَارَةِ الغربيَّةِ وصَارُوا يُبَشِّرُونَ بِهَا قَدْ عَادَ الكثيرون منهم يَشْعُرُونَ شُعُورًا قَوِيًّا صَادِقًا بِأَنَّهُمْ في حَاجَةٍ إلى أَكْثَرَ مِمَّا تَمُدُّهُمْ بِهِ الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ، وأَنَهُمْ لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَلْجَئُوا إلى تُرَاثِ السَّلَفِ مِنْ اَلْمُسْلِمِين لالتماسِ مَا يَقتَضَّى هَذَه الحَضَارَةَ الجديدةَ"[2].

وذلك لأنَّ الَّذي يُسيطرُ على الفِكْرِ الغربيّ اَلْمَادَّةُ فَقَطْ، فَكُلُّ اِهْتِمَامِهَا هُوَ الجَانِبُ اَلْمَادِيُّ، أمَّا الجَانِبُ الرُّوحِيُّ لا تَعْبَأُ به، وبِالتَّالي يَرْجِعُ اَلْمُسْلِمُ الصَّادِقُ لِمَنْهَجِ دِيْنِهِ الَّذِي يَجْمَعُ بينَ اَلْمَادَّةِ والرُّوْحِ. وَوَصَلَ العَدِيْدُ مِنْ اَلْمُسْتغْرِبين إلى حَدِّ الاسْتِغْرَاقِ بِأَوْضَاعِ الإسْلامِ في الفِكْرِ الغربي، وكيفَ أَنَّ الغَرْبَ يَخَافُ مِنْ الإسْلامِ وَيُنَاصِبُوْنَهُ العَدَاءَ.

ويتبيَّنُ ذلك مِنْ إِجَابَةِ د.بدوي لِسُؤَالِ د.اللاوندى"هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الغَرْبَ يَخَافُ مِنْ الإسْلَامِ؟ أَجَابَ في شِبْهِ اسْتِخْفَافٍ مِنْ السُؤَالِ وقَالَ: طَبْعًا.. فالغَرْبُ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالإسْلامِ يَكِيْلُ لِيْسَ بِمِكْيَالين فَقَطْ ولَكِنْ بِعَشْرَةِ أو رُبَّمَا بِمَائَةِ مِكْيَالٍ، فَهُوَ أكثرُ عُنْصُرِيَّةٍ وَوَحْشِيَّةٍ مَعَ الإسْلَامِ، مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ، وَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيْلَ فَاذْهَبْ إلى اَلْمَكْتَبَاتِ الَّتي تُحِيْطُ بِنَا لِتَجِدَ

(1) ينظر: محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج2 ص 158.

(2) ينظر: "جب " الاتجاهات الحديثة في الإسلام الترجمة العربية (ص76)، نقلًا عن المصدر السابق.

عَشَرَاتِ الكُتُبِ التي تَقْطُرُ سُمًّا عَلَى الإِسْلامِ"[1].

وَهَذِهِ حَقِيْقَةٌ، فَإِنَّ الخَوْفَ اَلْمُسَيْطِرَ عَلَى الغَرْبِ مِنْ الإِسْلامِ لَهُ أَسْبَابُهُ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ " مُعْجِزَةٌ في جَميعِ أَدْوَارِ حَيَاتِهِ، فَهُوَ مُعْجِزَةٌ في نَشْأَتِهِ، وفى اِنْتِشَارِهِ، وفى بَقَائِهِ حتَّى الآنَ"[2].

وَيُـجْمِلُ الدكتور بركات دويدار أسبابَ خَوْفِ الغَرْبِ مِنْ الإِسْلامِ فِيْمَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: الإِسْلامُ لَهُ قُوَّةٌ غَريبَةٌ في التَّوحيدِ بين اَلْمُسْلِمِين وَإِزَالَةِ فَوَارِقِ الجِنْسِ واللَّوْنِ واللُّغَةِ.

ثَانيًا: سُهُولَةُ اَلإِسْلَامِ وَسُرْعَةُ اِنْتِشَارِهِ.

ثَالثًا: إِنَّ الإِسْلامَ لا يَقِفُ مَوْقِفَ اَلْمُدَافِعِ أو مَوْقِفَ اَلْمُتَفَرِّجِ الَّذِي يَكْتَفِي بِالْمَوْقِفِ السَّلْبِي، بَلْ إِنَّ الإِسْلَامَ يُهَاجِمُ، وأَتْبَاعُهُ يَزِيْدُون يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ.

رَابِعًا: إِنَّ آَمَالَ اَلْمُسلمين في نَشْرِ دِيْنِهِمْ لا تَقِفُ عِنْدَ حَدِّ أَنَّـهُمْ يُفَكِّرُونَ فَحَسْبُ، بَلْ هُمْ قَدْ بَدَءوا فِعْلًا في غَزْوِ اَلْمَسيحيَّةِ في عُقْرِ دَارِهَا، فَبَدَلٌ مِنْ أَنْ يَنْتَقِلَ اَلْمُسلمون إلى دِيْنِ مُسْتَعْمِرِيهِمْ نَرَاهُمْ يُحَاولُونَ إِدْخَالَ هَذَا اَلْمُسْتَعْمِرَ في دِيْنِهِمْ.[3]

ويرى الغربُ أَنَّ الخَطَرَ الوَحيدَ عليهم هُوَ الإِسْلامُ، يقولُ لورانس

(1) عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، د.سعيد اللاوندى (ص30).

(2) ينظر: الحركة الفكرية ضد الإسلام ، د.بركات دويدار (ص60) ط المركز العلمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى 1406هـ .

(3) الحركة الفكرية ضد الإسلام ، د.بركات دويدار (ص63 – 68).

براون:"وَجَدْنَا أَنَّ الخَطَرَ الحَقِيْقِي عَلَيْنَا مَوْجُوْدٌ في الإِسْلامِ، وفي قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ والإِخْضَاعِ، وفى حَيَوِيَّتِهِ اَلْمُدْهِشَةِ"[1]. ويقول المستشرق غاردنر:"إنَّ القُوَّةَ التي تَكْمُنُ في الإِسْلامِ هِيَ الَّتي تُخِيْفُ أَورِبَا"[2].

إِذَنْ حُكْمُ بدوى على خَوْفِ الغَرْبِ مِنْ الإِسْلامِ صَائِبٌ؛ لأَنَّ هَذَا الخَوْفَ لَهُ أَسْبَابٌ مَوْجُوْدَةٌ ومُسْتَمِرَّةٌ، وذلك لأَنَّ الإِسْلامَ بِهِ قُوَّةٌ ذَاتِيَّةٌ، فَهُوَ يَحْمِلُ بينَ طَيَّاتِهِ قُوَّتَهُ وَسِرَّ اِنْتِشَارِهِ.

أَمَّا عَنْ قَوْلِ د.بدوى بِتَحَامُلِ الغَرْبِ عَلَى الإِسْلامِ وَحْدَهُ والدَّليلُ عَلَى ذَلِكَ الكُتُبُ التي تكتبُ عنه فلقد قرَّرَ ذلك د. محمود زقزوق أَيْضًا بقوله:"الإِسْلامُ وَحْدَهُ هُوَ اَلْمُسْتَهْدَفُ، والأَمْرُ الغَرِيْبُ هُوَ أَنَّ الدِّرَاسَاتِ الغربيَّةَ حَوْلَ الدِّيَانَاتِ الوَضْعِيَةِ مِثْلِ البُوذيَّةِ والهُنْدُوسيَةِ غَالبًا مَا تكونُ دِرَاسَاتٍ موضوعيَّةً بعيدةً عَنْ أَيِّ تجريحٍ، ولكنَّ الإِسْلَامَ وَحْدَهُ مِنْ بينِ كُلِّ الأَدْيَانِ هُوَ الَّذِي يَتَعَرَّضُ في الغَرْبِ للنَّقْدِ والتَّجْرِيحِ؛ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ دِيْنٌ يَؤْمِنُ بِاللهِ وَيَحْتَرِمُ اليَهُوْدِيَّةَ وَاَلْمَسِيحيَّةَ، ويُؤْمِنُ بِمُوْسَى وعِيْسَى، ويرفَعُهُمَا فَوْقَ النَّقْدِ، بِوَصْفِهِمَا مِنْ أنبياءِ اللهِ عليهِمْ السَّلامُ"[3].

(1) ينظر: قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، جلال العالم (ص49)، ط 1، مكتبة ابن تيمية 1413 هـ.

(2) المرجع نفسه (ص50).

(3) ينظر: الإسلام في تصورات الغرب ، د.محمود حمدي زقزوق ص 14 ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، 1997 م .

وَمِنْ رُؤْيَةِ د.بدوى للكُتُبِ الَّتي تَنَالُ مِنْ الإِسْلامِ، وَجَدَ أَنَّ اَلْمُستشرقينَ، يُرَكِّزُونَ عَلَى إِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وفى ذَلِكَ يقولُ:" لَقَدْ تَعَرَّضَ القُرْآنُ الكريمُ باعْتِبَارِهِ الرَّكِيْزَةَ الأساسيَّةَ للإِسْلامِ لِـهَجَمَاتٍ كثيرةٍ مِنْ الَّذِين كَتَبُوا ضِدَّ الإِسْلامِ "[1].

*****

(1) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، مقدمة الكتاب.

اَلْمَبْحَثُ الرَّابِعُ:

نَمَاذِجُ وأَنْمَاطُ التَّحَوُّلِ الفِكْرِيّ مِنْ التَّبَعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ إلي اَلْمَنْهَجِ الإِسْلَامِيّ

مِمَّا هُوَ معروفٌ لدَارِسِي الفِكْرِ اَلْمُعَاصِرِ أَنَّ الَّذين اِنْبَهَرُوا بِالتَّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ كُثُرٌ؛ لأَنَّهُمْ ظَنُّوا أنَّ فيه اَلْمَلاذَ لِنَهْضَةِ الأُمَّةِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ، وَنَسُوا أَو تَنَاسُوا أَنَّ الإِسْلَامَ في مَنْهَجِهِ هُوَ عَيْنُ التَّقَدُّمِ الحَضَارِيّ لِمَنْ يتَمَسَّكُ بِتَلابِيْبِهِ. وَتَجْدُرُ الإِشَارَةُ إلى أَنَّ مِنْ اَلْمُفكّرين مُدَّعِي الثَّقَافَةِ والنُّخْبَةِ عَاشُوا طُوَالَ حياتِهِمْ أَبْوَاقًا للفِكْرِ الغربيّ، داعين لَهُ عاملين على ترويْجِهِ، وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ, بَيْدَ أَنَّنَا وَجَدْنَا أُنَاسًا بَدَءوا حَيَاتَهُمْ دَاعِينَ لِلْفِكْرِ الغربيّ، تابعين لَهُ وتطوَّرَ فِكْرُهُمْ حتى أبصروا أنَّ الحقَّ في الإِسْلامِ ومَنْهَجِهِ، وهَذَا هُوَ مَنَاطُ بَحْثِنَا.

هَذَا، ونُشِيرُ هُنَا إلى نَماذِجَ مِنْ هَذَا الاتِجَاهِ الَّذِي يَنُمُّ عَلَى التَّطَوُّرِ الفِكْرِيّ لَدَى هؤلاءِ، وإِذَا نَظَرْنَا إلى مُرَاجَعَاتِ العُلَمَاءِ الفِكْرِيَّةِ قَدِيْمًا وحديثًا نجدُهَا كثيرةً، وهِيَ تدلُّ عَلَى نُضُوجِ الفِكْرِ وخُصُوبَةِ التَّفكيرِ، وتَدُلُّ علَى الاجْتِهَادِ للوُصُولِ إلى الحَقِيْقَةِ.

ويضربُ د.محمد عمارة أَمْثِلَةً في العَصْرِ الحَدِيْثِ تَدُلُّ علَى التَّحَوُّلِ الفِكريّ مِنْ البُعْدِ عَنْ الإسلامِ والهُجُومِ عَلَيْهِ إلى الدِّفَاعِ عَنْهُ والتَأليفِ في عُلُومِهِ، فَمِنْ هؤلاءِ كَمَا أَشَارَ د.عمارة :"منصور فهمي باشا [1303-1378هـ ، 1886 – 1959م] الذي كانت رسالته في الدكتوراه طعنًا في نِسَاءِ النَّبيّ ﷺ وبيتِ النُّبُوَّةِ.. انتهى به اَلْمَطَافُ الفكريُّ عُضْوًا في "جمعيَّةِ الشُّبَّانِ اَلْمَسلمين" ومُدَافِعًا عنْ الإِسْلامِ، ومُقدِّمًا للمُعْجمِ اَلْمُفَهْرَسِ لألفاظِ

القُرْآنِ[1].

ومِنْ العُلَمَاءِ الَذين تَرَاجُعوا عَنْ أفكارِهِمْ اَلْمُخَالِفَةِ لِمَبَادِئِ الإسلامِ الشَيخُ:علي عبد الرازق الذي قال عنه د.محمد عمارة "بدأ حياته الفكرية بدعوى أنَّ الإسلامَ مجرَّدُ رسالَةٍ رُوحيَّةٍ ودعوةٍ دينيَّةٍ خالصَةٍ للدِينِ، لا عَلاقَةَ لَـهَا بالسِّيَاسَةِ، ولا الدَّوْلَةِ ولا الحُكْمِ.. وأنَّ رسُولَ الإسلامِ ﷺ لَمْ يُقِمْ دَوْلَةً، ولَمْ يُؤَسِّسْ حُكُومَةً، ولَمْ يَرْأَسْ مُجْتَمَعًا[2]..حتَّى امْتَدَحَ علي عبد الرازق مَبْدَأَ "دَعْ مَا لِقَيْصَرِ لِقَيْصَرَ، ومَا للهِ للهِ"، رافعًا شعار:"يا بُعْدَ مَا بين السِّيَاسَةِ والدِّينِ"[3].

هذا هو فكرُ الشيخ: علي عبد الرازق في بدايةِ حياتِهِ الفكريَّةِ.."الدَّعوَةُ إلى العَلْمَانِيَّةِ" في كتابِهِ (الإسْلامُ وأُصُولُ الحُكْمِ).ولكنَّ الشَّيخَ:علي عبد الرازق تراجَعَ عنْ هَذَا الفِكْرِ، وكما يقولُ د.محمد عمارة: "علي عبد الرازق هذا، انتهى به اَلْمَطَافُ الفِكْرِيُّ إلى الحديثِ عَنْ أَنَّ الإسلامَ دِيْنُ تشريعٍ، وأنَهُ يجبُ على اَلْمُسْلمين إقَامَةُ شَرَائِعِه وحُدُودَهُ، وأنَّ الله خَاطَبَهُمْ جميعًا بذلك.. وأنَّهُ إذَا رَأَتْ جَماعَةُ اَلْمُسلمين أَنَّ مصْلَحَةَ اَلْمُسلمين في أنْ تكونَ الحكومَةُ خِلافَةً، فالخِلافَةُ تكونُ حِيْنَئِذٍ حُكُومَةً شَرعيَّةً"[4].

---

(1) السابق نفسه .

(2) الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص225).

(3) ينظر: (الإسلام وأصول الحكم) ، الشيخ:علي عبد الرازق (ص49 ، 64 ، 65 ، 69). نقلاً عن كتاب الإسلام والسياسة, د.محمد عمارة (ص226).

(4) صحيفة السياسة عدد 1 سبتمبر 1925 نقلا عن الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص226).

بل نقلَ د.محمد عمارة اعترافَ تَرَاجُعِ الشيخِ على عبد الرازق عمَّا قاله في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) من أنَّ الإسلامَ هو مجرَّدُ رسالةٍ روحيَّةٍ "بأنَّـهَا كلمةٌ ألقَاهَا الشَّيْطَانُ على لِسَانِهِ، وللشَّيطانِ كَلِمَاتٌ يُلْقِيْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ"[1]. وهذا اعترافٌ بالزَّلَّةِ التي وَقَعَ فيها من قَبْلُ.." فَسَارَ على دَرْبِ العُلَمَاءِ وَالْمُفكرين الَّذِينَ رَاجَعُوا مَا سَبَقَ، وقَدَّمُوا مِنْ اجْتِهَادَاتٍ وأفكارٍ، عندما رأَوْا مُجَانَبَةَ الصَّوَابِ"[2].

وقد سبق أن تبنَّى الشيخ المصري علي عبد الرازق صاحب الكتاب الشهير «(الإسلام وأصول الحكم) الصادر عام 1924م، والذي تبنَّى فيه فصل الدِّينِ عن الدَّولَةِ، والقطعَ بأنَّهُ لا دَوْلَةَ في الإسْلامِ،وكانَ ولا يزال الْمرجعيَّةَ الأساسيَّةَ للعَلْمَانيين العَرَبِ، رَوَى عنه الباحث الإسلامي محمد عمارة في كتابه «نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام»، بأنَّ عبد الرازق قد نَدِمَ علَى كتابَةِ هَذَا الكِتَابِ، وأنَّ ابنه محمد علي عبد الرازق قد شَهِدَ أمامَ عمارة بأنَّ أَبَاهُ قَرَّرَ قبل موته عام 1970م، أنْ يكتبَ كتابًا يُنْكِرُ فيه كُلَّ مَا جَاءَ في «الإسلام وأصول الحكم» ويُؤَكِّدُ فيه رأيَهُ الجديدَ بأنَّ «الإسلامَ دِيْنٌ ودَوْلَةٌ ولا فَصْلَ بينهُمَا»، لكنَّ الْمَوْتَ لَمْ يُمْهِلْهُ[3].

ومن المفكرين الذين تراجعُوا عن أفكارهم في حياتهم الفكرية د.محمد حسين هيكل (1305-1375هـ ، 1888-1956م) فإنَّ مسيرته

(1) مجلة (رسالة الإسلام) عدد مايو 1951م، نقلا عن المصدر السابق الصفحة نفسها.

(2) الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص226).

(3) تحولات المثقفين العرب الفكرية.. نظرات أم تنظيرات؟ مجلة نيوزويك العربية - الثلاثاء 19 كانون الثاني/ يناير 2010م.

الفكريَّةَ كَمَا قَالَ عنها د. محمد عمارة "على دَرْبِ اَلْمُرَاجَعَاتِ الفِكْرِيَّةِ قد بلغتْ الذُّروةَ في عُمْقِ التَّحَوُّلاتِ، والإعلانِ عَنْ اَلْمُرَاجَعَاتِ وشَجَاعَةِ النَّقْدِ للذَّاتِ"[1].

ولقد بيَّن د.محمد عمارة مَسِيْرَةَ د.محمد حسين هيكل الفِكْرِيَّةَ، وأَوْضَحَ بدايته بقوله "لقد بدأ د.هيكل – كعدد من أبناء جيله – منبهرا بالحضارة الغربية ساعيًا إلى أنْ نبدأَ نهضتَنَا من حيثُ انتهَى الغربيُّونَ، وجاهد في نقلِ الفِكْرِ الغربيّ العلميّ مِنْهُ والإنسانيّ والعقلي فيه والروحي – إلى اللُغَةِ العربيَّةِ، لنتخذَهُ نَموذجًا في النَّهْضَةِ والتَّقَدُّمِ والتَّجْدِيدِ، ولذلكَ كَانَ تَبْشِيْرُهُ وكانَتْ دعْوَتُهُ إلى:1– الفكرة القومية. 2– النزعة العلمانية. 3– النزعة الفرعونية المصرية"[2].

بَيْدَ أَنَّ د.هيكل تحوَّلَ عنْ هذه الأفكارِ التي دَعَا إليها في بِدَايَةِ حياتِهِ الفكريَّةِ، وبيَّنَ بُطْلانَـهَا، وأَوْضَحَ أَنَ الأفكَارَ التي دَعَا إليها في بدايَةِ حياتِهِ الفكريَّةِ كانَتْ بِسَبَبِ اِنْـخِدَاعِهِ ببريقِ الغَرْبِ، فَقَالَ:"ولقد أنسانَا بريقُ حَضَارَةِ الغَرْبِ مَا تنطوي هذه الفكرةُ القوميَّةُ عليه مِنْ جراثيمَ فَتَّاكَةٍ في الحَضَارَةِ التي تقومُ على أَسَاسِهَا وَحْدَهَا، وزادنا ما خيَّم علينَا من سُجُف الجَهْلِ إِمْعَانًا في هَذَا النِّسْيَانِ"[3].

وظلَّ د.محمد حسين هيكل ينقدُ الأفْكَارَ التي اِعْتَنَقَهَا في بداية حياته الفكريَّةِ؛ مُنْطَلِقًا مِنْ اَلْمَرْجعيَّةِ الإسلاميَّةِ التي انتهى إليها في حياتِهِ

(1) الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص226).
(2) المصدر السابق (ص226 ، 227).
(3) ينظر: (في منزل الوحي) ، د.هيكل (ص22-26)، ط القاهرة سنة 1967 نقلا عن الإسلام والسياسة (ص228).

الفِكْريَّةِ فيقولُ:"لقدْ أقامَ محمدٌ دينَ الحقِّ، ووَضَعَ أَسَاسَ حضَارَةٍ هِيَ وحْدَهَا الكَفِيْلَةُ بِسَعَادَةِ العَالَمِ... والدِّيْنُ والحَضَارَةُ اللَّذانِ بَلَغَهُمَا محمدٌ للنَّاسِ بِوَحْيٍ من رَبِّهِ يتزاوجَانِ، حتَّى لا اِنْفِصَالِ بينهمَا...وقد خَلا تَارِيْخُ الإسْلامِ مِنْ النِّزَاعِ بينَ السُّلْطَةِ الدِّينيَّةِ والسُّلْطَةِ الزَّمنيَّةِ .. فَأنجاهُ ذلك؛ مِمَّا تَرَكَ هَذَا النزاع في تفكير الغرب وفي اتجاه تاريخه"[1].

ويُشِيْرُ محمد حسين هيكل إلي أنَّهُ لم يجدْ في القوميَّةِ آَمَالَهُ في الحَضَارَةِ، وَوَجَدَ ذلك في الإسلامِ فقَالَ:" واِنْقَلَبْتُ أَلْتَمِسُ تاريخنا البعيدَ في عَهْدِ الفَرَاعين مَوئِلًا لوحِي هَذَا العَصْرِ يُنْشئ فيه نَشْأَةً جديدَةً، فَإِذَا الزَّمَنُ، وَإِذَا الرُّكُودُ العقليُّ قَدْ قَطَعَا مَا بيننا وبينَ ذَلِكَ العَهْدِ مِنْ سَبَبٍ قَدْ يَصْلُحُ بِذْرًا لنَهْضَةٍ جديدةٍ، وروءيت فرأيتُ أنَّ تاريخنَا الإسلاميَّ هو وحده البذر الذي ينبت ويثمرُ، ففيه حياةٌ تحرَّكُ النُّفوسَ، وتجعلها تهتزُ وتربُو، والفكرةُ الإسلاميَّةُ اَلْمَبنيَّةُ على التَّوحيدِ في الإيمانِ باللهِ تَنْزَعُ في ظِلالِ حُرِيَّةِ الفِكْرِ إلى وُحْدَةِ الإنْسَانِيَّةِ، وحدَةٌ أَسَاسُهَا الإخَاءُ وَاَلْمَحَبَّةُ، فالْمُؤمنُونَ في مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِخْوَةٌ يَتَحَابُّونَ بِنُوْرِ الله بينهم، وهم لذلك أُمَّةٌ واحدَةٌ تحيَتُهَا السَّلامُ، وغايَتُهَا السَّلامُ، وهذه الفِكْرَةُ تُخالِفُ ما يَدْعُو إليه عَالَمُنَا الحَاضِرُ من تقديسِ القوميَّاتِ وتصويرِ الأُمَمِ وحداتٍ متنافسةً يحكمُ السَّيْفُ، وتحكمُ أسبابُ الدَّمَارِ بينها فيما تَنَافَسَ عليه، ولقد تَأَثَّرْنَا مَعْشَرَ أُمَمِ الشَّرْقِ بهذه الفِكْرَةِ القوميَّةِ، واندفَعْنَا نَنْفُخُ فيها رُوْحَ القُوَّةِ، نَحْسَبُ أَنَّا نستطيعُ أنْ نَقِفَ بِهَا في وَجْهِ الغَرْبِ الَّذِي طَغَى علينَا وَأَذَلَّنَا، وخُيِّلَ إلينا في سذاجتنا أنا قادرون بها وحدها علي أن نعيد مجد آبائنا وأن نسترد ما

(1) ينظر: (حياة محمد) د.محمد حسين هيكل (ص234 ، 238 ، 516 ، 519)، ط القاهرة سنة 1881. نقلا عن المرجع السابق (ص229).

غصب الغرب من حريتنا وما أهدر بذلك من كرامتنا الإنسانية "[1].

هذه شجاعةٌ فكريَّةٌ ونُضُوجٌ عقليٌّ حين ينقدُ الرَّجُلَ مَا دَعَا إليه في بِدْءِ حياتِهِ، ويدلُّ هَذَا على التَّجْدِيدِ الفكريّ. لكنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ نَقْدِ مُعَاصِرِيهِ الذين رأوا في تحوله الفكري تحوُّلًا عن "التَقدميَّةِ" إلى "الرَّجعيَّةِ"، وعن "التَّجديدِ" إلى "التَقليدِ"، وردَّ د.هيكل عليهم بقوله:" وأَقِفُ هُنَا لأَدْفَعَ زَعْمًا حَسْبَ الذين زَعَمُوه أَنَّهُ مَغْمَزٌ "غمَزُوني به بعدَ تأليفِ كتابي (حياة محمد) حسب هؤلاء أَنَّني انقلبتُ بكتابَةِ السِّيرةِ رجعيًّا، وكُنْتُ عندهم قَبْلَها في طليعَةِ اَلْمُجَدِّدين.. ولقد خُيِّل إلى زمنًّا، كما لا يزال يُخَيَّل إلى أصحابي، أن نَقْل حياة الغرب العقلية والرُوحية سبيلنا إلى هذا النهوض.. وما أزالُ أشاركُ أصحابي في أنّا ما نَزَالُ في حاجَةٍ إلى أنْ ننقُلَ مِنْ حيَاةِ الغَرْبِ العقليَّةِ كُلَ مَا نستطيعُ نَقْلَهُ، ولكنّي أَصْبَحْتُ أُخَالِفُهُم في أَمْرِ الحَيَاةِ الرُّوحيَّةِ، وأَرَى أَنَّ مَا في الغَرْبِ مِنْهَا غيرُ صالحٍ لأنْ ننقله، فتاريخُنَا الرُّوْحِيُّ غيرُ تَارِيْخِ الغَرْبِ، وثقافتنا الروحية غير ثقافته"[2]... هكَذَا رَدَّ د.هيكل على مَنْ غَمَزَ له في تحوُّلِهِ، وبيَّنَ لَهُ أَنَّ الحَقَّ قد ظَهَرَ لَهُ، وفرَّقَ بينَ الاقتباسِ والأَخْذِ مِنْ الغَرْبِ في الحَيَاةِ العَقْليَّةِ، وبين الأَخْذِ مِنْهُ في الحَيَاةِ الرُوحيَّةِ.

ونجدُ د.هيكل هُنَا يُبيّنُ تَغيُّرَ وُجْهَةِ نَظَرَةِ هؤلاءِ لَهُ بعدَ كتابَاتِهِ الإسلاميَّةِ، أي بَعْدَ انْشِقَاقِهِ عَنْ الذين ظَلُّوا مُنْخدِعين بالفِكْرِ الغربيّ مُنْسَاقين وَرَاءَهُ في الهُجُومِ عَلَى الأَفْكَارِ وَالْمَبَادِئِ الإسلاميَّةِ، فالرُّجُوعُ إلى

(1) ينظر: في منزل الوحي (ص23).
(2) ينظر: في منزل الوحي ، د.محمد حسين هيكل (ص12)، نقلا عن الإسلام والسياسة د.محمد عمارة (ص232).

مَبَادِئِ الإِسْلامِ، واتِّخَاذِهِ اَلْمَصْدَرَ لِتَقَدُّمِ وانطلاقِ الأُمَّةِ ليسَ رَجْعِيَّةً ولا جمودًا كَمَا وَصَفَ د.وائل غالي بدوي ومهاجمي د.هيكل "وإنَّما هو تحوُّلُ "الخِبْرَةِ واَلْمُعَانَاةِ والتَّجْرُبَةِ.. وبعبارةِ الدكتور: هيكل" فلقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية والروحية، لنتخذها جميعا هدى ونبراسًا.. ولكنِّى أدركتُ بعد لأيٍ، أنَّني أضعُ البِذْرَ في غيرِ مَنْبَتِهِ، فإذَا الأرضُ تَهْضُمُهُ ثُمَّ لا تتمخَّضُ عنه، ولا تَبْعَثُ الحياةَ ..هَذَا كلامٌ واضحٌ بيّنٌ.. ومن عَجَبٍ أن يخفى على أصحابي، فلا يرونه، وأن يكون خفاءُه تثريبهم علي، ولكن، لا عجب، فقد خفي هذا الكلام عنِّي سنوات، كما لا يزال خفيًّا عن كثيرين منهم"[1].

ومن الذين تراجُعوا عن التَّبعيَّةِ الغربيَّةِ إلى اَلْمَنْهَجِ الإسلاميّ أيضًا د.طه حسين،فقد كتب د محمد عمارة كُتيّبًا عن هذا الموضوع وجاء عنوانه " طه حسين من الانبهار بالغرب إلي الانتصار للإسلام، مجلة الأزهر، هدية شهر ذي العقيدة 1435هـ، فقد انبهر بالغرب وتأثَّرَ بالمستشرقين أثناء وبعد رجوعه من فرنسا، وأثارت بعض كتبه ضَجَّةً عاليةً وهجومًا على بعض أفكاره في كتابيه "الشعر الجاهلي" و "مستقبل الثقافة" وردَّ عليه كثيرون منهم الشيخ:محمد الخضر حسين والأستاذ محمد فريد وجدي، ثُمَّ خَتَمَ حياته بمرحلة الإيابِ إلى اِلْمَنْهَجِ الإسلامِيّ، والثناء علي مجددي الإسلام في العصر الحديثِ، فقد قالَ عن منهج الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومذهبه أنَّهُ مذهبٌ جديدٌ قديمٌ مَعًا؛ جديدٌ بالنِّسبَةِ للمُعَاصرين، ولكنَّهُ قديمٌ في حقيقَةِ الأَمْرِ؛ لأنَّهُ ليسَ لَهُ إلا الدَّعْوَةُ القويَّةُ إلى الإِسْلامِ الخَالِصِ النَّقِيّ اَلْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ والوَثَنيَّةِ، هُوَ

(1) ينظر: الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص233).

الدَّعْوَةُ إلى الإسْلامِ كَمَا جَاءَ بِهِ النَّبيُّ".

وقال في مجلة الهلال ديسمبر 1940م" فالدِّينُ الإسلاميُّ كان وسيكون دائمًا أساسَ الحَيَاةِ الخُلُقِيَّةِ للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وقد كَانَ في عَصْرٍ طويلٍ أساسَ الحيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ لِـهَذِهِ الأُمَّةِ، أيضًا وهُوَ الآنَ وسيكونُ دائمًا أساسًا لهذه الحياةِ السِّيَاسِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ إلى حَدٍّ بَعِيْدٍ".

ومرحلة الإياب الفكري والصريح والحاسم إلي أحضان الإسلام والعروبة من بعد عام 1952م وفيها ظهرت تحولات في فكر طه حسين أكثر فأكثر نحو الإسلام، ومن أبرز هذه التحولات تأكيده علي حاكمية القرآن، والانتقال من الفرعونية إلي العروبة التي صاغها الإسلام، وكتب "مرآة الإسلام" 1951م، الذي يكشف فيه عن ألوان من إعجاز النظم القرآني، ثم ختم بكتابه "الشيخان" 1960م، وكتب أيضا علي هامش السيرة .

ومن الجديرِ بالذِّكْرِ أَنَّ طه حسين أوصَى أَنْ يَحْفُرَ عَلَى القَبْرِ الَّذِي دُفِنَ فيه هَذَا الدُّعَاءُ النَّبويُّ الذي كان أثيرًا إلى قَلْبِهِ، قريبًا مِنْ لِسَانِه "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُوْرُ السَّمَواتِ والأرضِ ومَنْ فِيْهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيُّوْمُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيْهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَمَواتِ والأَرْضِ ومَنْ فيهنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ الحَقُّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، والنَّبيُّونَ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإليكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرِ لي مَا قَدَّمْتُ ومَا أَخَرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ،أَنْتَ إِلهي لَا إِلَهَ إلا أَنْتَ"[1].

(1) ينظر: د.محمد عمارة في كتابه "طه حسين من الانبهار بالغرب إلي الانتصار للإسلام "، مجلة الأزهر، هدية شهر ذي العقيدة 1435ه (ص12– 15).

أيضًا د محمد عابد الجابري مِنْ اَلْمُفكّرين الَّذِين غيَّرُوا مَسَارَهُمْ مِنْ الفِكْرِ الغربي إلى اَلْمَنْهَجِ الإسلاميّ. فَلَمْ يَكُنْ اَلْمُفكّرُ اَلْمغربيُّ محمد عابد الجابري يُدْرِكُ أَنَّهُ سَيَجِيءُ عليه اليومُ، الذي يتحوَّلُ فيه مِنْ اِعْتِنَاقِ شِعَارِ «اَلْمَاركسيَّةُ هِي الحَلُّ» إلى الإيمانِ بشعَارِ «الإسلامُ هو الحَلُّ» .فالجابري الذي كان يُعاني حالَةً صحيَّةً مُتدهورَةً، ويخشى الموتَ قبلَ أن يستكمِلَ مشروعَه الفكريَّ، قَضَى نَصْفَ عمره البالغ 74 عامًا ماركسيًّا مُتحمِسًا يُؤْمِنُ بالْمُنْهَجِ الجَدَلي ويدعُو لَهُ. وفجأةً تَحوَّلَ في مَطْلعِ الثَّمانينات من القرن الماضي إلى اَلْمُنادَاةِ بالنُّهُوضِ وِفْقَ مُنْطَلَقَاتٍ عربيَّةٍ وإسلاميَّةٍ.

وعلى الرُّغْمِ من ذلك أَثَارَ النَّهْجَ الجديدَ للجابري عاصِفَةً بينَ اَلْمُفكرين الإسلاميين والعلمانيين، الذين رأوا في هذا التوجه انتهازيَةً وانتكاسَةً فكريَةً. يقولُ الفيلسوفُ السوري طيب تيزيني:"الجابري تنصَلَ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ يعتقدُ، وبطريقَةٍ غيرِ مَنْهَجِيَّةٍ. لَقَدْ كانَ ماركسيًّا وفَجْأَةً أَعْلَنَ أَنَ الماركسيَّةَ غريبَةٌ عنْ الفِكْرِ العربيِّ".

د.محمد عمارة – الذي تحدَّث عَنْ مُرَاجَعَاتِ العديدِ مِنْ اَلْمُفكرين – ذَاتُهُ نَموذجٌ حيٌّ لظاهرَةِ التَّحَوُلِ أو اَلْمُرَاجَعَةِ الفكريَّةِ اَلْمُمتدَةِ في فَضَاءِ الثَّقافَةِ العربيَّةِ، فتكوينُهُ كانَ يُنْبِئُ بِظُهُورِ دَاعِيَةٍ ديني، لكنَّ عمارةَ اعْتَنَقَ الفكْرَ اليَسَاريَّ لِمُدَةِ 10 سنوات (1954 . 1964)، سُجِنَ مِنْهَا سِت سنوات في عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وعُذِبَ حتى شَرِبَتْ الأَرْضُ من دَمِهِ – حَسْبَ وَصْفِهِ – وخرجَ من السِّجْنِ لِيُفَاجِئَ الجميعَ بِطَرْحٍ إسلاميٍّ أُصُوليٍّ، ترتكزُ دَعَائِمُه عَلَى نقْضِ الأفكَارِ اليَسَاريَّةِ والليبراليَةِ والعَلْمَانِيَّةِ، وتقديمِ اَلْمشروعِ الإسلامي كبديلٍ حتميٍّ لَهَا، والآنَ أصبحَ عمارةُ اَلْمُدَافِعَ الأَقْوَى عَنْ التَّيَّارِ الإسلامي وأطروحَاتِهِ وشِعَارَاتِهِ.

يقولُ عمارةُ لـ «نيوزويك»:"أعطتني هذه الإطلالَةُ علَى اليَسَارِ قُدْرَةً عَلَى فَهْمِ مَفَاتِيْحِ الفِكْرِ اليَسَارِيّ، وهَذَا مِنْ مَقَادِيرِ الله، لذلِكَ أعتقدُ بأنَّني كُنْتُ في بِعْثَةٍ عِلْمِيَّةٍ لاكتشِفَ مَفَاتِيْحَ هذَا الفِكْرِ (اليَسَاري)، حتَّى إِذَا أَتَى اليومُ الذي يَحْتَدِمُ فيه الجِدَالُ مَعَ الإِسْلامِ، أكونُ مِنْ أَقْدَرِ النَّاسِ عَلَى كَسْرِ شَوْكَةِ أَعْدَاءِ الفِكْرِ الإسلامي، مِنْ اليَسَاريين واَلْمُتغرّبين".

لا شَكَّ أَنَّ التَّرَاجُعَ أَوْ اَلْمُرَاجَعَةَ الفكريَّةَ عَنْ اقْتِنَاعٍ ونتيجةٌ لفكرٍ جديدٍ وتصوُّرٍ مُبتكرٍ، توجُّهُ محمودٌ ومشروعٌ بل ومطلوبٌ. فالفيلسوفُ الألماني نِتْشه يقولُ:"الحَيَّةُ التي لا تُغيّرُ جِلْدَهَا تَهلَكُ، وكذلِكَ البَشَرُ الذين لا يُغيِرُونَ أفكارَهُمْ يَهْلَكُوْنَ"، والفيلسوف البريطاني بِرترانْد رَاسِل يقول:"أَنَا لَسْتُ مُسْتَعِدًّا أَنْ أَمُوْتَ في سبيلِ أَفْكَاري لأنَّـها قَدْ تَتَغَيَّرُ"، فالأفكار، حسب رؤية الكاتب العراقي علي الوردي، كالأسلحة تتبدَّلُ بتبدُّلِ الأيَّامِ، «والذي يريدُ أَنْ يَبْقَى عَلَى آَرَائِهِ العَتِيْقَةِ هُوَ كَمَنْ يريدُ أَنْ يُحَارِبَ الرَّشَّاشَ بِسِلاحِ عَنترةَ بن شدَّادٍ».

والتَّطوُّرُ الفِكْريُّ هو الأصلُ في اَلْمُفكّرِ الذي يُعْمِلُ عَقْلَهُ، ويَسْعَى إلى اكْتِسَابِ كُلِّ جديدٍ، والَّذين لا يجدّدُون أَفْكَارَهُمْ هُمْ الجَمَادُ أو اَلْمَوْتَى، وكذَلِكَ الَّذين يَفْتَقِرُونَ إلى شَجَاعَةِ اِتِّخَاذِ اَلْمَوْقِفِ الجَدِيْدِ.

واَلْمُشْكِلَةُ، كَمَا يَقولُ اَلْمفَكِّرُ اَلْمغربي محمد عابد الجابري لـ نيوزويك «هي أنَّ البَعْضَ يقرأُ كتابًا أو اثنين ويتَّخِذُ مَوْقفًا بِنَاءً عليهِمَا، ثُمَّ يتغيَّرُ موقِفُهُ مَرَّاتٍ عِدَّةٍ مَعَ قراءته لِكُتُبٍ جَدِيْدَةٍ، وبالتَّالي يُسَمَّى هَذَا تَذَبْذُبًا لا تَطَوُّرًا».

ويُضيفُ البروفيسور المغربيُّ أَنَّهُ دَرَسَ أُصُولَ اَلْماركسيَّةِ وحَاوَلَ نَقْلَ اشتراكيَّةٍ عربيَّةٍ في الخمسينَاتِ، لكنَّهُ اِصْطَدَمَ بِتَخَلُّفِ اَلْمُجْتَمَعَاتِ

العربيَّةِ. لكن تيزيني السوري لا يوافق على هذا، بل صنَّفَ كتابًا في فِكْرِ الجابري تحت عنوان«من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي – بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية» أعلن فيه صراحَةً أنَّ الرَّجُلَ فَتَحَ صَدْرَهُ لِمَا كانَ يرفُضُهُ سابِقًا. يقول تيزيني: «الجابري أتى في مرحلة كانت مهيأة للانتقال، بدأت في ثمانينات القرن الماضي ثم اتسعت لتفضي إلى تحول عالمي جديد في الفكر والثقافة والاتصال؛ أي: متواقتة مع النظام العالمي الجديد. الجابري لعبَ على هذه المرحلة وتنكَّرَ لأفكاره السابقة».

وكما أنَّ هناك مَنْ يَرَى أنَ التَّحوُّلاتِ الثقافيَّةَ ظاهرةٌ صحيَّةٌ، نظرًا لِمُواكَبَتِهَا للتَّطَوُّرِ وللفِكْرِ الجديدِ، فإنَّ ثَمَّةَ مَنْ ينظرُ إلى هذه التَّحَوُّلاتِ كَمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ أَزْمَةِ اَلْمَشْرُوْعِ الفكريّ العربيّ اَلْمُعَاصِرِ. الناقد والكاتب الفلسطيني شاكر فريد حسن يصفُ ظَاهِرَةَ تَرَاجُعِ بعضِ اَلْمُثقَّفين عَبْرَ مَوَاقِعِهم اَلْمَوسُوْمَةِ بـ «العقلانية»، ليبرالية كانت أم تقدمية، ودخولهم في مساحة الفكر الديني السلفي، وما تلا ذلك من نقد ذاتي ومراجعة للمواقع الفكرية تحت مسمى العودة إلى التراث بأنه «من الظواهر الفكرية التي تنتمي إلى أزمة المفاجآت. ولعلَّ الانطباع الأساسي الذي تثيره ظاهرة التراجع هو أنَّ العقل المتراجع لم يكن مُحصَّنًا ضِدَّ الانعطافِ والنُّكُوصِ، وذلك لأسبابٍ سياسيَّةٍ وأيديولوجيَّةٍ ومعرفيَّةٍ».

المفكر الأردني شاكر النابلسي في دراسة له بعنوان «الشيخان علي عبد الرازق وخالد محمد خالد نموذجًا.. ظاهرة التراجع والتنازل السياسي في الفكر العربي المعاصر»، يشير إلى أنَّ فصل الدين عن الدولة جاءَ مِنْ مِصْرَ، في النِّصْفِ الأَوَّلِ من القرن العشرين إثر حملة قادها

اثنان من مفكري هذه الفترة من ذوي الخلفية الدينية الأزهرية، واللَّذين كانا يُعتبران من صَفْوَةِ عُلَمَاءِ الدِينِ اَلْمِصْريين وهما: علي عبد الرازق وخالد محمد خالد، «إلا أنَّ الشُّعورَ بالذَّنْبِ الذي اقترف جَرَّاءَ فَصْلِ الدِّينِ عن الدَّولَةِ، دفَعَ الشَّيخين إلى التَّردُّدِ والتَّراجُعِ واَلْمُرَاجَعَةِ. فالكُتَّابُ واَلْمُفكِّرُون اَلْمَاركسيُون ينقلبُون إلى التَّيَّارِ الإسلامي (محمد عمارة، عادل حسين)، والمؤرخون التقدميون الليبراليون ينقلبون إلى التيار الإسلامي (طارق البشري)، وحزب الوفد العلماني المصري يتحالَفُ مع خُصُومِهِ مِنْ الإخْوَانِ اَلْمُسلمين عام 1984.. وهكذا».

وَيُفَسِّرُ النابلسي هذه الظاهرة بـ«تمكُّن الفكرِ السَلفِي السِّيَاسِي من لَعِبِ دَوْرِ رئيسٍ وحيويّ على السَّاحَةِ السِّيَاسِيَةِ اَلْمِصْريَّةِ بشكلٍ خاصّ، والسَّاحَةِ الإسلاميَّةِ بشكلٍ عامّ، بحيثُ أصبحَتْ التياراتُ الليبراليَّةُ كافَّةً تطلبُ وُدَّهُ وتتحالفُ معه، ولو مُؤقَّتًا[1].

ومن هؤلاء الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي تطور في فكرِهِ حسبَ اَلْمَرَاحِلِ الزَّمنيَّةِ العُمْريَةِ:

– المَرْحَلَةُ الأُوْلَى: مرحلة الشباب: وفيها كانت رحلة بدوي مع الفكر الغربي والانبهار بالحضارة الغربية، ولقد تبنَّى فيها المذهبَ الوجُوديَّ، وكان معبَراً انتقلت الوجودية من خلاله إلى الفكر العربي، وهذه المرحلة " يكتنفُها الكثيرُ من الغُمُوضِ، وَيُـخَيِّمُ عليها الكثيرُ من الشَّكِّ في إيمانِهِ حتَّى أَطْلَقَ عليه الكثيرون عبارة «الوجودي اَلْمُلْحِد» وهي العبارة التي قدم بها الدكتور:عبد المنعم الحفني لبدوي في الجزء الخاص به في موسوعته

(1) تحولات المثقفين العرب الفكرية.. نظرات أم تنظيرات، حسن عبد الله ،مجلة نيوز ويك العربية - الثلاثاء 19 كانون الثاني/ يناير 2010.

"الموسوعة الفلسفية"[1].

وإذا ذهبنا إلى رأي د.عبد المنعم الحفني في موسوعته نجده يفسر كلام د.بدوي في شرحه لمذهبه الوجودي أن د.بدوي ينكر وجود الله ، فقال عبد المنعم الحفني:" وعنده –أي: بدوى – أنَّ غايَةَ كُلِّ موجودٍ أنْ يجدَ ذَاتَهُ وَسَطَ الوُجُود، والوجُودُ نوعان: مُطلقٌ ومعيَّنٌ، والوجُودُ اَلْمُطلقُ ليسَ وُجُودًا حَقِيْقِيًّا، ويضعُ الحفني بين قوسين (يعني وجود الله) وإنَّما الحقيقي هو الوجود المتعين"[2].

ولقد كان بدوى بعيدًا في فكره في هذه المرحلة عن الدِّينِ الإسلامي، وهي فترةُ تَمَرُّدٍ وعصيانٍ وعدمِ نُضُوجٍ فكريٍّ، وفي هذه اَلْمَرْحَلَةِ نَشَرَ بَدَوي أفكَارَ فَلاسِفَةِ الغَرْبِ التي تتلاءم مع فكره الوجودي مثل نتشه، وشوبِنْهَوَر وغيرهما.

وأشارَ بدوي في مقدمة كتابه "نتشه" إلى أنَّهُ يُوُجِّهُ كتابَهُ هَذَا إلى أُمَّتِهِ، والهَدَفُ منه الاقتداءُ بهؤلاءِ الفَلاسِفَةِ فقال:"إنَّمَا نَحْنُ نَضَعُ في مُتَنَاوَلِ أيديهم مَادَّةً ثمينَةً للتَّفكيرِ الحيِّ الخِصْبِ، وتحتَ أَنْظَارِهِمْ أَمْثِلَةٌ خليقٌ بهم أنْ يتأثَّروها ويستلهموها .."[3].

ونيتشه كما هو معروفٌ عنه أنَّهُ مُلْحِدٌ، ولقد ذكر بدوى في هذه اَلْمَرْحَلَةِ أَنَّ الإلحادَ تنويرٌ، وفي هذه اَلْمرحَلَةِ أيضًا نَجِدُ أنَّ بدوي أشادَ بالْمُستشرقين إشَادَةً تَامَّةً، ونظرَ إليهم نظر التلميذ للأستاذ، فتبنَّى أفكارهم، ونشرها دونما مناقشة، وهذا هو موقف بدوي من المستشرقين في بادئ

(1) مشوار العمر ، د.حسين عبد الواحد ، (صـ89).
(2) موسوعة الفلسفة ، د.عبد المنعم الحفني جـ2 صـ865، ط3 مدبولي .
(3) نيتشة ، د.عبد الرحمن بدوي (ص م).

الأمرِ، وفى هذه المرحلة أيضًا حاول بدوى أنْ يُوَطِّنَ الفِكْرَ الوجودي في الثقافة العربية والإسلامية لاسيما التَّصوُّفَ الإسلاميَّ،فلقد أرادَ أَنْ يصبغَ اَلْمَذْهَبَ الوجوديَّ صِبْغَةً إسلاميَّةً، وذلك مِنْ خِلَالِ الرَّبْطِ بينَ اَلْمَذْهَبِ الوُجُوديّ والتَّصَوُّفِ الإسلاميّ، والهدفُ مِنْهُ ترويجُ اَلْمَذْهَبِ الوُجُودي في العَالم الإسلامي، وحَاوَلَ بدوي في هَذِهِ اَلْمرحَلَةِ إِسْقَاطَ اَلْمَذْهَبِ الوجوديّ على بَعْضِ مُتَصَوِّفَةِ الإسلامِ؛ مثل رابعة العدوية وأبي حيان التوحيدي وغيرهما . هذه هي المرحلة الأولى من حياة بدوي الفكرية .

– اَلْمَرْحَلَةُ الثَّانيَةُ :ونجدُ فيها اختفاءَ النَّزْعَةِ الوُجُوديَّةِ بعْدَ فَشَلِهَا في الغَرْبِ، وعَدَمِ رَوَاجِهَا في العالمِ الإسلاميّ، ونجدُ فيها وقوفَ د.بدوي على أعْمَالِ اَلْمُستشرقين الخَاصَّةِ بالقُرْآنِ والرَّسُولِ، فترجَمَ للمُستشرقين في موسوعته، ومِنْ خِلالِ بَحْثِهِ تبيَنَ لَهُ زَيَّفَ أَفْكَارَ هَؤُلاءِ اَلْمُستشرقين تِجَاهَ الإسلامِ وحملتهم اَلْمَسعورةِ نحوَ القُرْآنِ والرَسُولِ ﷺ، وَوَافَقَ ذَلِكَ نُضُوجُ فِكْرِ بدوي نحو الثَّقَافَةِ الإسلاميَّةِ، وَوَافَقَ أيضًا تقدُّمَ بدوي في السِّنِّ، فاخْتَفَتْ صَرْخَةُ التَّمَرُّدِ، وَنَضُبَتْ قُوَى التَّجْدِيفِ في الأَفْكَارِ اَلْمُعَارِضَةِ للإِسْلامِ بَعْدَ بَيَانِ فَشَلِهَا، فَكَتَبَ يُهَاجِمُ اَلْمستشرقين الذين يُحَاولُون النَّيْلَ مِنْ القُرْآنِ والرَسُولِ ﷺ.وهَذَا الدِّفَاعُ يَنُمُّ عَنْ نَفْسٍ دَلَفَتْ إلى الإيمَانِ اَلْمُسْتَسْلِمِ بَعْدَ أَنْ عَانَتْ مِنْ بَرِيْقِ الأَفْكارِ الغربيَّةِ الزَّائِفَةِ فترةً طويلَةً.

وَمِنْ هُنَا نَصِلُ إلى أنَّ فكرَ الدكتور بدوي الديني تطوَّرَ مِنْ البُعْدِ عَنْ الدِّينِ إلى الحديثِ عَنْ الإسْلامِ والدِّفَاعِ عَنْهُ، وَنُحَاوِلُ أنْ نوفِّقَ بينَ اِتِّهَامِ بدوي بالإلحَادِ والبُعْدِ عنْ الدِّيْنِ وبين قولنا: إنَّ دفاع بدوي عن الإسلام ينبثق من أيدٍ مسلمة فيها ثقافة العالِم المسلم وفيها حرارة الإيمان والغيرة على الدِّينِ: بأنَّ الدِّفَاعَ عَنْ الدِّينِ كانَ في أُخْرَيَاتِ عمر د.بدوي،

ولقد نحى منحىً غربيًا وجُوديًّا في بِدْءِ حياته الفكرية، هذا المنحى كان هو السبب في حكم البعض ببعد د.بدوي وإلحاده في أول حياته الفكرية، ولقد حكَّم د.بدوي نفسه هذا الحكم على أبي حيان التوحيدي؛ وهو بصَدَدِ الحُكْمِ على توقيتِ كِتَابَةِ أبي حيان لكتابه "الإشاراتُ الإلهيَّةُ" فقال د.بدوي:"كتابُ الإشَاراتِ الإلهيَةُ" في دورٍ تَلا مَا يُشْبِهُ التَّوْبَةَ، وأنَّهُ لهذَا يُعَبِّرُ عَنْ فترةِ إيمانِ مُسْتَسْلِمٍ، حائرُ النَّبرةَ، صادقُ الطَّوِيَّةِ، كانتْ آخرُ فتراتِ حياتِهِ، وأنَّهُ قد سَبَقَهَا فتراتٌ نَزَعَ فيها مَنَازِعَ لَعَلَهَا أَنْ تكونَ الدَّافِعُ إلى هَذَا الاتِّهَامِ"؛ يقصد "د.بدوي" هنا أنَّ "أبا حيان" أُتُّهِمَ بالزَّنْدَقَةِ، وكتابه "الإشارات الإلهية" فيه دليلٌ على صِدْقِ إيمانِهِ، ونُوَفِّقُ بينَ الاتِّهَامِ بالزَّنْدَقَةِ وكتاب "الإشارات" بأنَّ كتابَ الإشارات كان في آخرِ حَيَاةِ "أبي حيان" ونزع منازع قبل ذلك فيها دليل زندقته، ولكنَّهُ تابَ وألَّفَ الإشاراتِ بعد ذلك.وحينمَا قرأْتُ هَذَا النَّصَّ عند د.بدوي كأنَّني أمامَ حَالَةِ بدوي نفسِهَا، فكانتْ كُتُبُهُ في الدِّفَاعِ عَنْ الإسْلامِ بِمَثَابَةِ التَراجُعِ الضِّمْنِي بَلْ والعَمَلِي على تحوُّلِه الفِكْرِي.

وهذا التحول الفكري عند د.بدوي دليل على النضج الفكري عنده وبرهان على سعة علمه وحريته، فهذا يعدُّ من قبيلِ اَلْمُرَاجعَاتِ الفكريَّةِ التي يقول عنها د.محمد عمارة حينما عبَّر عن هذه المراجعات لدى بعض المفكرين واصفاً لها بقوله: آية من آيات الحيوية والنظر والتجديد:"المراجعات الفكرية في مسيرة العلماء والفلاسفة والمفكرين والاجتهاد فالذين لا يراجعون أفكارهم هم العَجَزَةُ، الذين يستوون مع الموتى والجمادات"[1].

(1) ينظر: الإسلام والسياسة "الرد على شبهات العلمانيين"،د.محمد عمارة (صـ225)، ط3، دار الرشاد سنة 1997م.

فالتَّحَوُّلُ الفِكْرِيُّ نحو الصَّوَابِ، ومُراجَعَةِ الإنسانِ أفكارَهُ الخاطِئَةَ التي تَبَنَّاهَا في فترةٍ مِنْ حياتِهِ الفكريَّةِ دليلٌ على حيويَّةِ الفِكْرِ.ولكنْ هناكَ مَنْ يَصِفُ بدوي في تحوُّلِهِ هَذَا بالجُمُودِ، وهذه ظاهرةٌ طالَتْ عددًا من اَلْمُفكِّرين في القَرْنِ العِشْرين.يقولُ د.وائل غالي ناقداً بدوي في التَّحوُّلِ الأخيرِ والتَّوَجُّهِ الإسلامِيّ:"وليسَ تَحوُّلُ عبد الرحمن بدوي من الفكرِ الحُرّ إلى الجُمُودِ حالةً خاصَّةً من حَالاتِ اَلْمُثَقَّفين اَلْمِصريين اَلْمُعَاصرين، فإنَّ هَذه الحالَةَ عَلَى وَجْهِ الدِّقَّةِ تكرَّرت إلى درجةِ مَا يُشْبِهُ القَانُونَ، فهَذَا التَّغيُّرُ طَالَ كثيرين غير عبد الرحمن بدوي . طال سيد قطب، وخالد محمد خالد،ومحمد عمارة، وعادل حسين، ومصطفى محمود وغيرهم من كبار المفكرين المعاصرين، وإذا كان تكرار هذه الظاهرة قد أحالها إلى قانونٍ، فإنَّ هناك قانونًا آخر في الحياة الفكرية المصرية في القرن العشرين هو قانونُ القراءَةِ الأدبيَّةِ غيرِ الفِيلُولوجيَّةِ للقرآنِ الكريمِ، والذي استمرَّ في الوُجُودِ من طه حسين ومحمد عبده إلى أمين الخولي ومحمد أحمد خلف الله، وأخيراً نصر حامد أبو زيد"[1].

ويا عجباً لكلام د.وائل غالي ومن على شاكلته من الكتاب المعاصرين، الذين يعتبرون الدفاع عن الإسلام جمودا، والهجوم عليه فكرا حرا، ولا ضير من ذلك فلقد سخَّر الغربُ بعضَ الأقلامِ الخَبيثَةِ في العالمِ العربيّ لترويجِ أفكَارِهِمْ والهُجومِ عَلَى الإِسْلامِ.

(1) ينظر: دفاع عبد الرحمن بدوي عن الزمان، د.وائل غالي (صـ187)، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة سنة 1998م.

فبدوي حينما دافع عن الإسلام، وهاجم الطَّاعنين فيه من المستشرقين، أصبح جامدًا ورجعيًّا، وكان بالأمسِ فيلسوفًا وعميدًا للفلسفَةِ العربيَّةِ، ومُفكِّرًا حُرًّا، ألا يفضحُ ذلك فَكْرَ هؤلاءِ الذين يَرَوْنَ في الإسْلامِ "الرَّجعيَّةَ"، وفي اَلْمَذَاهِبِ الغربيَّةِ "التَّقَدُّمِيَّةِ".

ومع هذا فإن كلام (غالي) يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ بدوي قد تحوَّلَ تحوُّلًا حقيقيًّا.

وهذه الظاهرة كذلك تضرب بجذورها عبر التاريخ الإسلامي الطويل، نجد الإمام الغزالي ورحلته في الشك المنهجي للوصول إلى حقيقة يسير عليها " وإذا كانت الأشْعَرِيَّة هي مذهب جمهور المسلمين، فلقد كان إمامها أبو الحسن الأشعري [324-260هـ ، 874-926م] معتزليا بل ومن أئمة المعتزلة – ثم راجع فكره، وانتقد مسيرته فأصبح إماما لهذا المذهب الوسطي الجديد الذي استقطب جمهور المسلمين"[1].

هذا نموذج للمراجعات الفكرية القديمة وهناك نماذج أخرى كثيرة مثل: تغير مذهب الإمام الشافعي بعدما انتقل إلى مصر وهكذا.

فعودة د.بدوي وهيكل وتراجع الشيخ علي عبد الرازق عن آرائه وخالد محمد خالد، وسيد قطب ود.محمد عمارة وغيرهم دليل على الصحوة الإيمانية الكامنة فيهم، وأنهم في بادئ الأمر كانوا منخدعون ببريق التيارات الغربية، فإذا بالحقائق تنكشف أمام أعينهم، ويتبين لهم أن ما كانوا يبحثون عنه خيال سقيم في أفكارهم، وفي لحظة صفاء تشرق عليهم معان القرآن وهَدي السُّنة، فإذا بهم ينقلبون مدافعين عنهما، ويرفعون

(1) الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص225) .

العصا في وجه الطاعنين في الدين، ومنكرين لأقوالهم الماضية، حيث اتضحت الحقيقة أمام أعينهم بأن الإسلام هو المصدر لتقدم الأمة لأنه وحـي من الله ﷻ .

*****

اَلْمَبْحَثُ اَلْخَامِس:

دَعْـوَةٌ وَنِـدَاءٌ

هَذِهِ اَلْمُرَاجَعَاتُ الفِكْرِيَةُ – مِنْ قِبَلِ كِبَارِ اَلْمُفكِّرِين الَّذِينَ كَانُوا بِالأَمْسِ قَادَةً لِلْفِكْرِ الغربي، مُتَبَنِّيِنَ مَذَاهِبَ تُخَالِفُ المبادئ اَلإِسْلامِيَةَ، واليومَ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِـهَذِهِ الأَفْكَارِ، مُهْتَدِيْنَ بِنُوْرِ الإِسْلَامِ .و"لا تَزَال الجَوَابَ النَّمُوذَجَيَّ لِتَسَاؤُلاتِ الحَيَارَى اَلَّذِيْنَ أَصَابَـهُمْ اَلإِحْبَاطُ مِنْ فَشَلِ مَشَارِيعِ التَّحْدِيْثِ الغَرْبِيَّةِ في بِلَادِنَا عَبْرَ قَرْنَيْنِ مِنْ الزَّمَانِ..مِنْ اللّيْبراليَّةِ.. إلى اَلْقَوْمِيَةِ، بِالْمَعْنَى الغَرْبِيّ..إلى اَلْمَاركسيَّةِ والشُّيوعيَّةِ..وبَقَاءُ قَلْبِ اَلأُمَّةِ لَا يَخْفِقُ إِلَّا لِلإِسْلَامِ وَتُرَاثِهِ وَتَارِيْخِهِ وَحَضَارَتِهِ..وَبَقَاءِ مَلَكَاتِ شُعُوبِ الشَّرْقِ الإِسْلامِي لا تَنْفَتِحُ إِلَّا عَلَى دَعْوَةِ اَلإِسْلَامِ.. وَبَقَاءِ آذَانِـهَا لا تُلَبِّي إِلَّا لِمَنْ يُؤَذِّنُ – مِنْ دَاخِلِ سُوْرِهَا الحَضَارِيّ بِنِدَاءِ الإِسْلَامِ"[1].

فَلَابُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ اَلإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَفِكْرَهُ، فَكَمَا جَعَل اَلْمُفَكِّرُوْنَ اَلْمُعَاصِرُوْنَ د.بدوي، وهيكل، وغيرهما أَسَاتِذَةً في نَقْلِ اِلْفِكْرِ الغَربي، وَمُحَاوَلَةِ تَطبيقِهِ في الأُمَّةِ الإِسْلاميَّةِ والتَّرجمَةِ لِمَلَاحِدَةِ الغَرْبِ وأَفْكَارِهِمْ. فَيَجِبُ عَلَى التَّلاميذِ أَنْ يُفَكِّرُوا في مَا اِنْتَهَى إليهِ الأَسَاتِذَةُ بَعْدَ بَحْثٍ وَمُعَانَاةٍ، ويَتَّبِعُوا هَؤلاءِ الأَسَاتِذَةِ في التَّوَجُّهِ الإِسْلَامِيّ.

فهذا البحثُ دعوةٌ للمُثقَّفين وَاَلْمُفكّرين الَّذين مَا زالوا ينظُرُون إلى الغَرْبِ نَظْرَةَ اِنْبِهَارٍ، ذلك لأنَّ أساتذتهم تحوَّلُوا عنه، ورأُوا في الإسلامِ النُّورَ الذي يهدِي الأُمَّةَ إلى أَقْومِ سبيلٍ، وعبَّرُوا عن خِدَاعِ الغَرْبِ وَاَلْمُستشرقين بهم فترةً طويلةً.ونَـحنُ نَعْلَمُ أَنَّ الفِطْرَةَ الدِّينيَّةَ كامِنَةٌ فيهم، إِذَا ما حَاولوا

(1) الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص233).

الوُقُوفَ عليها سَتَظْهَرُ، وسَنَجِدُ مَنْ يَذُبُّ عَنْ الإِسْلامِ مَنْ كانَ بالأَمْسِ مِنْ الذين تحمَّسُوا للأَفْكَارِ اَلْمُخَالِفَة لَهُ.

ولقد أشرنا من قبل إلى تحوُّلِ د.هيكل في مسيرته الفكريَةِ، وَنَجِدُ لَهُ نَصًّا يُبيّنُ سببَ هذَا التَّحوُّلِ مِنْ الفِكْرِ الغربيّ إلى الفِكْرِ الإِسْلامِيّ، فقالَ مُعَلِّلًا:"على أنَّ التَّوحيدَ الذي أَضَاءَ بِنُوْرِهِ أَرْوَاحَ آبائِنَا، قد أورثنا مِنْ فَضْلِ اللهِ سَلامَةً في الفِطْرَةِ هَدَتْنَا إلى تَصَوُّرِ الخَطَرِ فيمَا يدعُوا الغرب إليه.. ولذلك، لم يكنْ لَنَا مَفَرٌّ مِنْ العَوْدَةِ إلى تَاريخنا نَلْتَمِسُ فيه مُقَوّمَاتِ الحيَاةِ اَلْمَعْنَوِيَّةِ لنخرجَ مِنْ جُمُودِنَا اَلْمُذِلّ"[1]. فتحوَّلَ د.هيكل إلى الاسْتِنَارَةِ بِالإِسْلاَمِ، أَتَى مِنْ الفِطْرَةِ السَّليمَةِ التي رَسَّخَتْهَا عَقِيْدَةُ التَّوحيدِ الإِسْلامِيّ في أبنائِهِ، وهَذِه العَقيدَةُ بَيَّنَتْ لَهُ مَا تنْطَوِي عليه الأَفْكَارُ الغَرْبيَّةُ مِنْ هَدْمٍ وخَطَرٍ على الإِسْلَامِ، وإِذَا كَانَ هَذَا البَحْثُ بَيَانًا لِتَطَوُّرِ بَعْضِ اَلْمُفَكّرِين الَّذين تَبِعُوا الغَرْبَ فكريًّا في صَدْرِ حياتهم، وإِعْلانًا لِتَحَوُّلِ الجَانِبِ الدّيني في فِكْرِهِمْ، أيضًا دعوةٌ لبَعْض اَلْمُفكّرين واَلْمُثَقَّفين أن يقتدُوا بأساتذِتِهِمْ الذين دَافَعُوا عَنْ الإِسْلَامِ مِنْ أَمْثَالِ د.عبد الرحمن بدوي.

وَلَقَدْ قَرَأْتُ مَقَالًا لأَحَدِ تلاميذِ د.عبد الرحمن بدوي وهو الأستاذ.أنيس منصور الذي تشبَّعَ بفكرِ د.بدوي الوجُوديّ، وألَّفَ في الوُجُوديَّةِ كتابه المشهور "الوجُودية"[2]، والذي عبَّر في مَقَالِهِ بعنوانِ "مَوَاقِفَ" عَنْ إعداده لكتابة كتابٍ عَنْ الرسول ﷺ، وكان من قَبْلُ يُحاولَ – كَمَا فَعَلَ د.بدوي – أنْ يُفَسّرَ أحاديثَ الرَّسولِ تفسيرًا وجوديًّا، فقالَ عن

(1) ينظر: في منزل الوحي،د.محمد حسين هيكل (ص26)، القاهرة سنة 1967م. نقلا عن المصدر السابق(ص233).

(2) الوجودية ، أ. أنيس منصور ط نهضة مصر ط 2 سنة 2004 .

ذلك:"وجَرَبْتُ في إِحْدَى اَلْمُحَاوَلاتِ أَنْ أُفَسِّرَ بعْضَ الأحاديثِ النَّبويَّةِ تفسيرًا فلسفيًّا وُجُودِيًّا، فوجدتني قد ذَهَبْتُ إلى بَعِيْدٍ، فردَدْتُ نفسي وحدَّدتها وسدَدْتُ الطَّريقَ في وَجْهِي وكَفَفْتُ وتَوَقَّفْتُ"[1].

ولكنَّ أ. أنيس منصور وعد في مقاله هذا بحشدِ اَلْمَعْلُومَاتِ التي تُسانِدُهُ في الكِتَابَةِ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ، وجمعِ مَطَاعِنِ اَلْمُستشرقين حولَ نبيِّ الإِسْلامِ ﷺ، وأشارَ أ.أنيس إلى أنَّ عددًا كبيرًا من القُرَّاءِ بَعَثُوا إليه العديدَ مِنْ الكُتُبِ حَوْلَ الرَّسُولِ، وأيضًا العديدَ مِنْ اَلْمَقَالَاتِ الَّتي تُصَحِّحُ الأفكَارَ اَلْمَغْلُوطَةَ عَنْ حياةِ الرَّسُولِ مِنْ قِبَلِ اَلْمُستشرقين، وأَنْهى حديثَهُ في اَلْمَقَالِ، فَقَالَ:"أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ عِنْدِي سَبَبٌ يمنعني مِنْ أَنْ أَحْتَشِدَ وأَنْ أَتَوَكَّلَ عَلَى الله"[2].

وفي نهايةِ الأمرِ يتبقَّى لَنَا أَنْ نَقَرِّرَ مُطْمَئِنين بأَنَّ الإِسْلامَ قَوِيٌّ بِمَبَادِئِه وأُسُسِهِ وأَحْكَامِهِ، مَهْمَا حَاوَلَ البَعْضُ أَنْ يَنْشُرَ مَذْهَبًا غربيَّ النَّشأَةِ واَلْمَضْمُونِ، ويُطَبِقُه في اَلْمُجتمَعِ الإسلامي، وسيفشلُ كَمَا فَعَلَ عَدَدٌ مِنْ اَلْمُفكِّرين ومِنْ بَيْنِهِمْ د.بدوي، بَيْدَ أَنَّهُ، ود.هيكل، والأستاذ سيد قطب، ود.محمد عمارة وغيرهم بدئوا حياتهم الفكرية باحثين "عن مَصْدَرِ النُّوْرِ الذي يَصْلُحُ لإِنَارَةِ طريقِ الأُمَّةِ، ليأتُوا مِنْه بِقَبَسٍ تُرَى في ضُوئِه مَعَالمَ النُّهُوضِ والتَّقَدُّمِ والانْعِتَاقِ مِنْ إِسَارِ التَّخَلُّفِ والجُمُودِ والفُتُورِ وإذلال الاستعْمَارِ – فَلَمْ يَجِدُوا أَصْلَحَ ولا أَنْسَبَ ولا أَنْجَعَ مِنْ نورِ الإِسْلامِ، وكَانَتْ لَدَيْهِم الشَّجَاعَةُ التي جَعَلَتْهُمْ يَكتُبُونَ ذَلِكَ في كُتُبِهِم عَنْ تَحوُلاتِهِمْ في مَسيرتهم الفِكْرِيَّةِ، ومَعَ هَذِه الشَّجَاعَةِ، كَانَتْ لَدَيْهِمْ العَبْقَرِيَّةُ التي جعَلتهم

(1) ينظر: جريدة الأهرام مقال "مواقف" ، أ. أنيس منصور يوم 2004/2/17م .
(2) المرجع السابق بتصرف .

يُبْدِعُونَ الجديدَ في مَوْقِعِهِم الجَدِيْدِ"[1].

فَهَؤُلاءِ العُلَمَاءُ تَحَوَّلُوا إلى المَرْجِعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَجَاءَ ذَلِكَ ثَمْرَةَ البَحْثِ والنَّظَرِ.

*****

(1) ينظر: الإسلام والسياسة ، د.محمد عمارة (ص234، 235) بتصرف .

اَلْخَاتِمَةُ

وتَشْتَمِلُ عَلَى مَا تَمَخَّضَ عَنْهُ اَلْبَحْثُ مِنْ نَتَائِجَ.

- **نَتَائِجُ اَلْبَحْثِ:**

1 – مِنْ النَّتَائِجِ اَلْـمُهِمَّةِ الَّتي تُسْتَخْلَصُ مِنْ هَذِه الدِّرَاسَةِ مَا قَامَ بِهِ بَعْضُ اَلْمُفَكِّرِيْنَ، مِنْ مُرَاجَعَةٍ فِكْرِيَّةٍ، حَيْثُ تَبَيَّنَ لَـهُمْ خَطَأَ أَفْكَارِهِمْ السَّابِقَةِ مَعَ طُوْلِ عَصْرِهِ مَعَهَا فحملوا مِعْوَلًا جَدِيْدًا، وصَارُوا يَنْقُضُونَ بِنَاءَهُمْ الفِكْرِيَّ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَاجَعَةَ الفِكْرِ لَيْستْ خَطِيْئَةً كُبْرَى، ولكنَّهُ إِحْقَاقٌ للحَقِّ وإِبْطَالٌ لِلْبَاطِلِ، حَتَّى لَو طَالَ زَمَنُ هَذَا اَلْبَاطِلِ، أو اِعْتَنَقَهُ مَنْ يُوْثَقُ بِهِ.

2 – هَذَا اَلْبَحْثُ دَعْوَةٌ لِلْمُثَقَّفِيْنَ واَلْمُفَكِّرِيْنَ الَّذِينَ مَا زَالُوا يَنْظُرُوْنَ إلى اَلْغَرْبِ نَظْرَةَ اِنْبِهَارٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ أَسَاتِذَتِـهِمْ تَـحَوَّلُوا عَنْهُ، وَرَأَوا في الإِسْلَامِ النُّوْرَ الَّذِي يَهْدِي اَلأُمَّةَ إلى أَقْوَمِ سَبِيْلٍ، وعَبَّرُوا عَنْ خِدَاعِ الغَرْبِ واَلْمُستشرقِين بِـهِمْ فَتْرَةً طويلةً، وَنَـحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اَلْفِطْرَةَ الدِّيْنِيَّةَ كَامِنَةٌ فِيْهِمْ، إِذَا مَا حَاوَلُوا الوُقُوفَ عَلَيْهَا سَتَظْهَرُ، وَسَنَجِدُ مَنْ يَذُبُّ عَنْ اَلإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بِالأَمْسِ مِنْ الَّذِين تَـحَمَّسُوا لِلأَفْكَارِ اَلْمُخَالِفَةِ لَهُ.

3 – عَدَمُ الانْـخِدَاعِ بِالْفِكْرِ الدَّخِيْلِ خَاصَّةً عِنْدَمَا يَهْدُفُ هَذَا اِلْفِكْرُ إلى هَدْمِ ثَقَافَتِنَا، وَنَقْدِ حَضَارَتِنَا، واِتِّـهَامِ عَقْلِيَّتِنَا، حَيْثُ تَبَنَّى بَعْضُ اَلْمُثَقَّفِيْنَ في اَلْقَرْنِ العِشْرِيْنَ وَمَا بَعْدَهُ أَفْكَارَ بَعْضِ اَلْمُسْتَشْرِقين، والَّتي قَلَّلَتْ مِنْ شَأْنِ اَلْعَقْلِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، واِتِّـهَامِهَا بِالسَّطْحِيَّةِ، وَعَدَمِ اَلْقُدْرَةِ عَلَى التَّفَلْسُفِ، وَيُسَمَّى هَذَا اَلْمَوْقِفُ مَوْقِفَ (التَّبَعِيَّةِ وَالمُمَاثَلَةِ) ثُمَّ تَـخَلَّى عَنْ هَذِهِ اِلْفِكْرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَاحَ يَنْقُدُهَا بَلْ وَيُدَلِّلُ عَلَى نَقِيْضِهَا فَأَثْبَتَ أَصَالَةَ هَذِهِ اَلْعَقْلِيَّةِ وَقُدْرَتِـهَا عَلَى

اَلتَّفَلْسُفِ، وَيُسَمَّى هَذَا اَلْمَوْقِفُ مَوْقِفَ (النَّقْدِ وَاَلْمُبَايَنَةِ) وَهَذَا في إِطَارِ تَطَوُّرِهِ اَلْفِكْرِيّ.

4 – سُقُوطُ اِلْفِكْرِ الوُجُودِيّ لَا عَلَى يَدِ اَلْمُتَدَيِّنِيْنَ اَلَّذِينَ يُتَّهَمُونَ دَائِمًا بِالنَّظْرَةِ العَاطِفِيَّةِ، وَلَكِنْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ اِعْتَنَقَهُ وَرَوَّجَهُ، وَجَسَّدَتْ أَعْمَالُهُ الأُولى هَذَا اَلْفِكْرَ، ثُمَّ لَفَظَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، مِمَّا يَجْعَلُ أَصْحَابَ هَذَا اَلْفِكْرِ يَقِفُوْنَ مَكْتُوفِي اَلأَيْدِي أَمَامَ سُقُوطِ هَذَا اَلصَّرْحِ عَلَى يَدِ وَاحِدٍ مِنْ أَكْثَرِ اَلْمُعْتَنِقِيْنَ لَهُ، بَلْ وَالدَّاعين والنَّاشِرِيْنَ لِـهَذَا اِلْفِكْرِ، مِمَّا جَعَلَ البَاحِثَةَ تَقِفُ في بادئ الأَمْرِ عِنْدَ اَلفِكْرِ الوُجُودِي عِنْدَه؛ لِتثبِتَ تَـهَافُتُه وبُعْدَهُ عَنْ مَنْهَجِ الدِّيْنِ الإِسْلَامِيّ.

قَائِمَةٌ بِأَهَمِّ اَلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا: كتب السنة النبوية المطهرة.

ثالثا: أهم الكتب:

1. **الإسلام في الفكر الأوربي، د.محمد شامة، ط 1 ، مكتبة وهبة ، 1980 م .**
2. **الإسلام والسياسة " الرد على شبيهات العلمانيين، دكتور محمد عمارة، ط 3 ، " دار الرشاد 1997م.**
3. **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د.عبد الرحمن بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976م.**
4. **البحث عن المعقول في الثقافة العربية،د.عاطف العراقي،ط1،مكتبة الثقافة، 2004م.**
5. **تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، د محمد جابر الأنصاري، سلسلة عالم المعرفة، عدد 35 ، نوفمبر 1980م .**
6. **تحولات المثقفين العرب الفكرية.. مراجعات أم تراجعات؟، عبد الله حسن، مجلة نيوز ويك العربية – الثلاثاء 19 كانون الثاني/ يناير 2010م.**
7. **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية،د.عبد الرحمن بدوى،دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها من الألمانية والإيطالية،د.بدوى، النهضة العربية،1965م.**

8. التفسير الكبير، العلامة فخر الدين الرازي، ط 1 ، دار الغد 1993 م.

9. الحركة الفكرية ضد الإسلام، د.بركات دويدار، ط المركز العلمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، 1406هـ.

10. الخطاب الفلسفي المعاصر، دكتور السيد محمد الشاهد، ط دار قباء 2000م.

11. دفاع عبد الرحمن بدوى عن الزمان، د.وائل غالي، ط 1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1998 م .

12. دفاع عن القرآن ضد منتقديه، د.عبد الرحمن بدوى، ترجمة د.كمال جاد ، ط الدار العالمية للكتب والنشر ، 1997 م، ط دار الجيل ، 1998 .

13. دفاع عن محمد ﷺ ضد المتقصين من قدره، د.عبد الرحمن بدوى، ترجمة د.كمال جاد ، ط الدار العالمية للكتب والنشر ، 1999 .

14. سيرة حياتي، د.عبد الرحمن بدوى، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000م.

15. عبد الرحمن بدوى فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، د.سعيد اللاوندي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) 2002م.

16. عبد الرحمن بدوى مشوار العمر،الأستاذ حسين عبد الواحد، قطاع الأخبار، 2002م.

17. عبد الرحمن بدوى نجم في سماء الفلسفة، د.أحمد عبد الحليم عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002 م.

18. عبقرية محمد ﷺ، عباس محمود العقاد،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(مكتبة الأسرة) 2004م.

19. العقل والتنوير في الفكر العربي، د.عاطف العراقي، دار قباء 1998م .

20. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهي، ط13، مكتبة وهبة، 1997م.

21. قادة الغرب يقولون"دمروا الإسلام أبيدوا أهله"، جلال العالم، ط مكتبة ابن تيمية، 1413هـ

22. لماذا رفضت الماركسية، د.مصطفي محمود، القاهرة، 1975م.

23. مدخل إلى القرآن الكريم،د.محمد عبد الله دراز، ط5، دار القلم، الكويت، 2003م.

24. مقال (مواقف)، أنيس منصور، جريدة الأهرام، 2004/2/17م.

25. مقال المقابلة والمماثلة، الجمعية الفلسفية المصرية،د.أحمد عبد الحليم عطية، السنة السابعة، العدد السابع، دار قباء للطباعة والنشر، 1998م.

26. من تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، د.عبد الرحمن بدوى، ط وكالة المطبوعات، الكويت 1975م.

27. موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوى،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984م.

28. موسوعة المستشرقين،د.عبد الرحمن بدوى،ط3، دار العلم للملايين،

بيروت،1993م

29. نيتشه، د.عبد الرحمن بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م.

30. الوجودية، أنيس منصور، ط2، نهضة مصر، 2004م.

*****

الزهراء